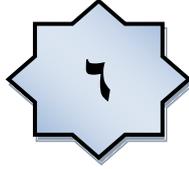


جمعية أنصار السنة المحمدية
فرع بلبيس - اللجنة العلمية

لَوْاعِظُ سِلْسِلَةٍ



إشراف ومراجعة
الشيخ / أحمد بن سليمان

د / صبري عبد المجيد

إعداد
اللجنة العلمية

الذوق واللياقة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد

فإن المتأمل في حياة المسلمين في بلادنا ليصيبه العجب من تغير الأخلاق وضياع الآداب حتى تعودنا على سماع القبيح ورؤية الرقص والتلويح، فقلت في نفسي أمن يفعل ذلك رجل صحيح؟! نعم، ولكنه مسخ قبيح المرأة خفيف الركانة، ضعيف الرزانة، منحل العقيدة، لا تزيده الموعظة إلا خسارًا ولا تفيده العذيلة إلا إصرارًا، عقله ضعيف ورأيه سخيّف وحلمه خفيف وجهله شديد، فمن هذا حاله فلا غرو أن تخرج منه الغباوة وتكثر منه الشقاوة وإنيهم والله حثالة عَنْ مُرْدَاسِ الْأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَيَبْقَى حُفَالَةٌ كَحُفَالَةِ الشَّعِيرِ، أَوْ التَّمْرِ، لَا يُبَالِيهِمُ اللَّهُ بِالَّةَ))^(١)

أصحاب الأخلاق السيئة تشقى بهم البلاد ويثن منهم العباد والدواب

قال أبو حازم: ((السَّيِّئُ الْخُلُقِ، أَشَقَى النَّاسِ بِهِ نَفْسُهُ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، هِيَ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ، ثُمَّ زَوْجَتُهُ، ثُمَّ وَلَدُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَدْخُلُ بَيْتَهُ وَإِنَّهُمْ لَفِي سُرُورٍ، فَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ، فَيَنْفِرُونَ عَنْهُ فَرَقًا مِنْهُ، وَحَتَّى إِنْ دَابَّتْهُ لِتَحِيدٍ مِمَّا يَرْمِيهَا بِالْحِجَارَةِ، وَإِنَّ كَلْبَهُ لَيَرَاهُ فَيَنْزُو عَلَى الْجِدَارِ، وَحَتَّى إِنْ قَطَّه لَيَفِرُّ مِنْهُ))^(٢)

إن مظاهر سوء الخلق تفتت في المجتمعات: ما بين ضجيج بالسيارات والضرب بالمنكرات في الأتراح واللغو ورفع الصوت بالهتافات ودق الهاتف بالمعازف في مواضع العبادات ولأجل عيد الميلاد تغلق الطرقات حتى في المساجد ارتفعت الأصوات وبعد منتصف الليل تتعالى الصيحات والتأوهات والسخافات

(١) صحيح البخاري (٦٤٣٤)

(٢) مساويء الأخلاق (٩)

قال العتيبي: " كُنَّا عِنْدَ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ} [الأنعام: ٣٨] وَقَالَ: مَا فِي الْأَرْضِ آدَمِيٌّ إِلَّا وَفِيهِ شَبَهُهُ مِنْ شَبَهِ الْبَهَائِمِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَهْتَصِرُ اهْتِصَارَ الْأَسَدِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْدُو عَدْوَ الذَّبِّ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْبُحُ نُبْحَ الْكَلْبِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَطَوَّسُ كَفِعْلِ الطَّائُسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُشْبِهُ الْخَنَازِيرَ الَّتِي لَوْ أُلْقِيَ لَهَا الطَّعَامُ الطَّيِّبُ عَافَتْهُ فَإِذَا قَامَ الرَّجُلُ عَنْ رَجِيعِهِ، وَلَعَتْ فِيهِ فَكَذَلِكَ مَجْدُ مِنَ الْأَدَمِيِّينَ مَنْ لَوْ سَمِعَ خَمْسِينَ حِكْمَةً لَمْ يَحْفَظْ وَاحِدَةً مِنْهَا وَإِنْ أَخْطَأَ رَجُلٌ عَنْ نَفْسِهِ أَوْ حَكَى خَطَأً غَيْرَهُ تَرَوَاهُ وَحَفِظَهُ.

قال الخطابي معلقا على قوله: وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَاعْلَمْ يَا أَخِي أَنَّكَ إِنَّمَا تُعَاشِرُ الْبَهَائِمَ وَالسَّبَاعَ فَلْيَكُنْ حَذْرَكَ مِنْهُمْ وَمُبَاعَدَتَكَ إِيَّاهُمْ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ وقال أيضا: قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الشَّرُّ فِي النَّاسِ طِبَاعٌ، وَحُبُّ الْخِلَافِ لَهُمْ عَادَةٌ، وَالْجُورُ فِيهِمْ سُنَّةٌ وَلِذَلِكَ تَرَاهُمْ يُؤْذُونَ مَنْ لَا يُؤْذِيهِمْ وَيَطْلُمُونَ مَنْ لَا يَطْلُمُهُمْ وَيُجَالِفُونَ مَنْ يَنْصَحُهُمْ. . . .

وَسُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: مَتَى يَسْلَمُ الْإِنْسَانُ مِنَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ. قِيلَ: وَمَتَى يَكُونُ كَذَلِكَ؟ قَالَ: إِذَا مَاتَ. قَالَ: وَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَهُوَ حَيٌّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ خَيْرًا فَلَا شَرَّارٌ يُعَادُونَهُ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ شَرِّيرًا يَمُتُّونَهُ

ولهذا فالعاقل هو من يصلح نفسه ويهذب أخلاقه وإن فسد أهل الزمان قال يونس بن عبد الأعلى:، قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ: ((يَا أَبَا مُوسَى رِضَاءُ النَّاسِ غَايَةٌ لَا تُدْرِكُ لَيْسَ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ النَّاسِ سَبِيلٌ. فَانظُرْ مَا فِيهِ صَلَاحٌ نَفْسِكَ فَالزَّمْهُ وَدَعِ النَّاسَ وَمَا هُمْ فِيهِ)) (١)

"فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين وأفضل أعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وثمره مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة

(١) انظر العزلة في مواضع منه للخطابي

والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرزائل الواضحة والخبائث المبعدة عن جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشياطين وهي الأبواب المفتوحة إلى نار الله تعالى الموقدة التي تطلع على الأفئدة كما أن الأخلاق الجميلة هي الأبواب المفتوحة من القلب إلى نعيم الجنان وجوار الرحمن" (١)

ولهذا كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "وَاهِدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ" (٢)

**فاللهم حسن أخلاقنا واصلح أحوالنا
والحمد لله رب العالمين**

**كنبه
أحمد بن سليمان**

(١) إحياء علوم الدين

(٢) صحيح مسلم "٢٠١"

قبسات من مشكاة النبوة (حديث سيد الاستغفار)

عناصر الخطبة:

لفظ الحديث

أهمية الحديث في واقعنا.

المحاور الرئيسية للحديث

معنى سيد الاستغفار وسبب التسمية

عن شدّاد بن أوس رضي الله عنه،: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله، قال: ((سَيِّدُ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوؤُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوؤُ لَكَ بِذُنُوبِي فَاعْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)) . قَالَ: ((وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمِيسَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ)) .^(١)

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ ((أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ)) .^(٢)

وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّسَائِيِّ ((تَعَلَّمُوا سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ)) .^(٣)

- أهمية الحديث في واقعنا

١- حاجتنا جميعا إلى معرفة كيفية التذلل والخضوع لله تعالى وكيفية تعظيمه وإجلاله من خلال معرفة معاني هذا الحديث.

٢- كثرة الذنوب وتنوعها حتى قست القلوب وعلاها الران بسبب الذنوب فنحتاج إلى سبب قوي للتخلص منها.

٣- التذكير بأهمية الأذكار في حياتنا وأنها سبب عظيم لتحصيل الجنة.

صيغ الاستغفار:

(١) رواه البخاري (٦٣٠٦)

(٢) الترمذي (٣٣٩٣)

(٣) النسائي (١٠٢٢٨)

للاستغفار صيغ عديدة، منها:

- أستغفر الله.

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا. ^(١)

- ومن صيغته: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

عَنْ بِلَالِ بْنِ يَسَارِ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ جَدِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: ((مَنْ قَالَ اسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرًّا مِنَ الزَّحْفِ)). ^(٢)

- ومنها: سبحان الله ويحمده، أستغفر الله وأتوب إليك.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: ((سُبْحَانَكَ وَيَحْمَدُكَ، اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ)). ^(٣)

- ومن صيغته: أستغفر الله وأتوب إليه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: ((وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)). ^(٤)

- لماذا سمي هذا الدعاء بسيد الاستغفار؟

١- لما اشتمل عليه من المعاني العظيمة.

قَالَ بَنُ أَبِي جَمْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

جَمَعَ ﷺ، فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ بَدِيعِ الْمَعَانِي وَحُسْنِ الْأَلْفَاظِ مَا يَحِقُّ لَهُ أَنَّهُ يُسَمَّى سَيِّدَ الْإِسْتِغْفَارِ فَفِيهِ الْإِقْرَارُ لِلَّهِ وَحْدَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ وَالْإِعْتِرَافُ بِأَنَّهُ الْخَالِقُ وَالْإِقْرَارُ

(١) رواه مسلم (٥٩١)

(٢) رواه أبو داود (١٥١٧) والترمذي (٣٥٧٧) وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٤٨ / ٥)

(٣) رواه مسلم (٤٨٤)

(٤) رواه البخاري (٦٣٠٧)

بِالْعَهْدِ الَّذِي أَخَذَهُ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءِ بِمَا وَعَدَهُ بِهِ وَالِاسْتِعَاذَةَ مِنْ شَرِّ مَا جَنَى الْعَبْدُ عَلَى نَفْسِهِ وَإِضَافَةَ النِّعَمَاءِ إِلَى مُوجِدِهَا وَإِضَافَةَ الذَّنْبِ إِلَى نَفْسِهِ وَرَغْبَتَهُ فِي الْمَغْفِرَةِ وَاعْتِرَافَهُ بِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا هُوَ. ^(١)

٢- جمع معاني التوبة كلها لذلك فالدعاء به أجزل إثابة وأعجل إجابة.

قَالَ الطَّبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَمَّا كَانَ هَذَا الدُّعَاءُ جَامِعًا لِمَعَانِي التَّوْبَةِ كُلِّهَا اسْتَعِيرَ لَهُ اسْمُ السَّيِّدِ وَهُوَ فِي الْأَصْلِ الرَّئِيسُ الَّذِي يُقْصَدُ فِي الْحَوَائِجِ وَيُرْجَعُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ. ^(٢)

- معنى (سيد الاستغفار)

أي أفضل أنواع الأذكار التي تطلب بها المغفرة فهذا هو الذكر الجامع لمعاني التوبة كلها. ^(٣)

- المحاور الرئيسية للحديث:

- في قوله ((اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ))

١- الاعتراف بالربوبية والالوهية لله رب البرية

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: فَتَضَمَّنَ هَذَا الْإِسْتِغْفَارُ الْإِعْتِرَافَ مِنَ الْعَبْدِ بِرُبُوبِيَةِ اللَّهِ، وَإِلَهِيَّتِهِ وَتَوْجِيهِهِ، وَالْإِعْتِرَافَ بِأَنَّهُ خَالِقُهُ، الْعَالِمُ بِهِ، إِذْ أَنْشَأَهُ نَشْأَةً تَسْتَلْزِمُ عَجْزَهُ عَنْ أَدَاءِ حَقِّهِ وَتَقْصِيرَهُ فِيهِ، وَالْإِعْتِرَافَ بِأَنَّهُ عَبْدُهُ الَّذِي نَاصِيئَتُهُ بِيَدِهِ وَفِي قَبْضَتِهِ، لَا مَهْرَبَ لَهُ مِنْهُ، وَلَا وِلْيَ بِهِ سِوَاهُ. ^(٤)

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي

الربوبية أفراد الله بالخلق والملك والتدبير. قال تعالى { إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ

بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ } [يونس: ٣]

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ): لهذه الكلمة المباركة أثر كبير في مغفرة الذنوب . .

(١) فتح الباري لابن حجر (١١ / ١٠٠)

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١ / ٩٩)

(٣) فيض القدير (٤ / ١١٩)

(٤) مدارج السالكين (١ / ٢٣٧)

ولهذا توَسَّلَ بها يونس عليه السلام في بطن الحوت، قال تعالى: {وَدَا النُّونَ إِذ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنبياء: ٨٧].

إنها الكلمة التي أنجت صاحبها من النار بعد أن أيقن الهلاك والبوار، فَعَبَدَ اللهُ بِنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ (رضي الله عنهما)، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنْ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كِتَابِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عُدْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنْ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةٌ، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِلِطَاقَةٍ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِلِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ))، قَالَ: ((فَتَوْضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِلِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقَلَتِ الْبِلِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ))^(١).

ولهذا كان هذا الدعاء هو سيد الاستغفار لاشتغاله على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

- خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ -

خلقتني: أوجدتني من العدم. وأنا عبدك: قدراً وشرعاً.

تجري عليَّ أقدارك، ولا حيلة لي في دفع ما قضيت به عليَّ، وأنا عبدك شرعاً، تأمرني بما شئت، وتنهاني عما شئت، فالحلال ما أحللت، والحرام ما حرَّمت، والدين ما شرعت. وأشرف شيء للإنسان أن يكون عبداً لله؛ فلا انفكاك للعبد من رتبة العبودية؛ فما أن يكون عبداً لله، أو للشيطان، قال تعالى: { أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠) وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ } [يس: ٦٠، ٦١]

(١) رواه الترمذي (٢٦٣٩) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٦٢)

وَمَا أَحْسَنُ قَوْلِ الْقَاضِي عِيَاضٍ فِي مِثْلِ هَذَا:

وَمَا زَادَنِي عَجَبًا وَتَيْهًا... وَكَدَّتْ بِأَخْصِي أَطَأُ الثُّرَيَّا

دُخُولِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عِبَادِي... وَأَنْ صَيَّرْتَ أَحْمَدَ لِي نَبِيًّا^(١)

٢- ومن الفوائد: التقديم بين يدي المسألة

فمن السنة أن يبدأ الداعي بالثناء على الله بما هو أهله ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يشرع في الدعاء

عَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَاعِدٌ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ:

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((عَجَلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ

فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ)).^(٢)

- ((وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ)) -

فيه معنيان:

١- قَالَ الْخَطَّابِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُرِيدُ أَنَا عَلَى مَا عَاهَدْتُكَ عَلَيْهِ وَوَعَدْتُكَ مِنَ الْإِيمَانِ بِكَ

وَإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ لَكَ مَا اسْتَطَعْتُ مِنْ ذَلِكَ.

٢- وَقَالَ ابْنُ بَطَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (العهد) يُرِيدُ الْعَهْدَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ حَيْثُ أَخْرَجَهُمْ

أَمْثَالَ الذَّرِّ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَقْرُوا لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَأَدْعُوا لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ.

وَأَرَادَ بِالْوَعْدِ: مَا قَالَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، أَنْ مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَأَدَّى مَا

افْتَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ.^(٣)

- فيه ملامح إيماني، كأن الذي ارتكب المعصية خدش إيمانه؛ بما استدعى تجديد العهد مع

الله، جَلَّتْ قُدْرَتُهُ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ

مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا

(١) غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٤٧٥)

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٦) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٢٩٣)

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٩٩)

يَنْتَهَبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسَ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ^(١).

فسلبه اسم الإيثار المطلق (الكامل) وإن لم يسلب عنه مطلق الإيثار (أصل الإيثار) لذلك احتاج أن يحدد العهد مع الله.

وسئل جعفر بن محمد رحمهما الله: عن هذا الحديث فخطَّ دائرة في الأرض وقال: هذه دائرة الإيثار، ثم خطَّ دائرةً أخرى خارجة عنها، وقال: هذه دائرة الإسلام، فإذا زنى العبد خرج من هذه ولم يخرج من هذه^(٢).

- وفي قوله ((مَا اسْتَطَعْتَ))

- اعتراف العبد بالعجز

أي ألترم ذلك بحسب استطاعتي وقدرتي.

واشترائط الاستطاعة في ذلك معناه الاعتراف بالعجز والقصور عن كونه الواجب من حقه تعالى، وهذا إعلامٌ لأئمة عليهم السلام، أن أحداً لا يقدر على الإتيان بجميع ما يجب عليه لله ولا الوفاء بكمال الطاعات والشكر على النعم فرقق الله بعبادته فلم يكلفهم من ذلك إلا وسعهم^(٣).

- وفي قوله ((أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتَ))

أعوذ: ألاجأ. وإنما يستعيز المسلم بالله من شر ما يصنع لأنه لا عاصم مما يسخط الله من الشر والفساد إلا الله.

قال تعالى: {مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِّمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف: ١٧٨].

- الذنوب شر وأيما شر

فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في خطبة الحاجة: ((وَتَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ

أَعْمَالِنَا))^(٤).

(١) رواه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧)

(٢) روضة المحبين (ص: ٣٦٠)

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٠٠)

(٤) رواه الترمذي (١١٠٥)، وصححه الألباني في تحريج الكلم الطيب (ص: ١٥٩)

وهل ظهر الفساد في الأرض وسلبت بركتها إلا بسبب الذنوب {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ
وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الروم: ٤١]
وهل تنزل النعم إلا بسبب الذنوب { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ
وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } [الشورى: ٣٠]

وهل تزول النعم إلا بسبب الذنوب والمعاصي {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً
مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ
وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢]

وهل تزول الدول وتملك الأمم إلا بسبب الذنوب والمعاصي، فعن زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِغًا يَقُولُ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُلِّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ
اقْتَرَبَ، فَتُحَ الْيَوْمِ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ)) وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي
تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ:
(نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْحَبْثُ)).^(١)

وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ مَدَائِنُ قُبْرَسَ، وَقَعَ
النَّاسُ يَفْتَسِمُونَ السَّبِيَّ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَهُمْ وَيَبْكِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَتَنَحَّى أَبُو الدَّرْدَاءِ،
ثُمَّ احْتَبَى بِحِمَائِلِ سَيْفِهِ، فَجَعَلَ يَبْكِي، فَأَتَاهُ جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكَ يَا أَبَا
الدَّرْدَاءِ؟ أَتَبْكِي فِي يَوْمِ أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ؟ وَأَذَلَّ فِيهِ الْكُفْرَ وَأَهْلَهُ، فَضَرَبَ عَلَى
مَنْكَبِيهِ، ثُمَّ قَالَ: تَكَلَّمْتُكَ أُمَّكَ يَا جُبَيْرُ بْنُ نُفَيْرٍ، مَا أَهْوَنَ الْخَلْقَ عَلَى اللَّهِ إِذَا تَرَكُوا أَمْرَهُ، بَيْنَا
هِيَ أُمَّةٌ قَاهِرَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَى النَّاسِ، هُمْ الْمَلِكُ حَتَّى تَرَكُوا أَمْرَ اللَّهِ، فَصَارُوا إِلَى مَا تَرَى، وَإِنَّهُ
إِذَا سَلَطَ السَّبَاءُ عَلَى قَوْمٍ فَقَدْ حَرَجُوا مِنْ عَيْنِ اللَّهِ، لَيْسَ لِلَّهِ بِهِمْ حَاجَةٌ.^(٢)

(١) رواه البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠)

(٢) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢٦٦٠) وإسناده صحيح

وبالجملة: فكلُّ نقصٍ وبلاءٍ وشرٍّ في الدنيا والآخرة، فسببه الذنوب، ومخالفة أوامر الربِّ، فليس في العالم شرٌّ قطُّ إلا الذنوب وموجباتها. (١)
وفي قوله ((أبوءُ لكَ بنِعمتِكَ عليَّ))

- الاعتراف بالنعمة من شكر الله، فالشكر يكون بثلاثة: بالاعتراف بها باطناً، والتحدث بها ظاهراً، وتسخيرها في مرضاة مسديها. فكل نعمة إنما هي من الله. {مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النساء: ٧٩].

وقال تعالى {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣]

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، أنه قال: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بَنُوْءٌ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ)) (٢).

وفي قوله ((أبوءُ لكَ بنِعمتِكَ عليَّ، وأبوءُ لكَ بِذُنُوبِي))

- مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس

ففي هذا اعترافٌ بإنعام الربِّ وذنب العبد كما قال بعض السلف: إني أصبح بينَ نعمةٍ تنزلُ من الله عليَّ وبينَ ذنبٍ يصعدُ مني إلى الله فأريدُ أن أُحدثَ لِلنَّعْمَةِ شُكْرًا وَلِلذَّنْبِ اسْتِغْفَارًا. (٣)
 فجمع رضي الله عنه، في هذه الجملة بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب النفس والعمل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: العارف يسير إلى الله بين مشاهدة المنة ومطالعة عيب

النفس والعمل.

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٢٤)

(٢) رواه البخاري (٨٤٦) ومسلم (٧١)

(٣) مجموع الفتاوى (٧٣/ ٨)

فمشاهدة المنة توجب له المحبة والحمد والشكر لولي النعم والإحسان، ومطالعة عيب النفس والعمل توجب له الذل والانكسار والافتقار والتوبة في كل وقت، وأن لا يرى نفسه إلا مفلساً.

وأقرب باب يدخل منه العبد على الله تعالى هو الإفلاس فلا يرى لنفسه حالاً ولا مقاماً ولا سبباً يتعلق به، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار الصّرف، والإفلاس المحض، دخول من كسر الفقر والمسكنة قلبه حتى وصلت تلك الكسرة إلى سويدائه فانصدع وشملته الكسرة من كل جهاته، وشهد ضرورته إلى ربه عز وجل، وكمال فاقته وفقره إليه، وأن في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة فاقة تامة، وضرورة كاملة إلى ربه تبارك وتعالى، وأنه إن تخلّى عنه طرفة عين هلك وخسر خسارة لا تجبر، إلا أن يعود الله تعالى عليه ويتداركه برحمته. ^(١)

((وَأَبُوءُ لَكَ بِذُنُوبِي))

- الاعتراف بالذنب بسبب لتكفيره.

اعترف آدم وزوجه عليهما السلام بالذنب، { قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [الأعراف: ٢٣]. فقبل الله توبتهما.

واعترف بذنبه الكليم عليه السلام فغفر الله له { قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ } [القصص: ١٦].

وقال تعالى عن داود عليه السلام: { وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ } [ص: ٢٤].

وقال عن يونس عليه السلام: { وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ } [الأنبياء: ٨٧].

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٧)

ولما أرادت بلقيس أن تتوب قالت: {رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [النمل: ٤٤].

فإذا صحَّ اعتراف العبد بذنبه وتاب توبة نصوحا قبل الله توبته، كما ورد في حديث الإفك الطويل أن رسول الله ﷺ، قال لعائشة رضي الله عنها، ((يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ بَلَّغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيَبْرُئُكَ اللَّهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتِ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ)).^(١)
قوله ((فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)).

هذه الجملة مشتملة على شيئين من أسباب مغفرة الذنوب:

الأول: الدعاء بالمغفرة. قال تعالى: {وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا} [النساء: ١١٠].

والثاني: الاعتراف بأنه لا يغفر الذنب أحد سوى الله.

فليس سوى الله من يمنح صكوك الغفران! قال تعالى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [آل عمران: ١٣٥].

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: ((وَجَّهْتُ وَجْهِي لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي، وَنُسُكِي، وَمَحْيَايَ، وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي، وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاعْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ)).^(٢)

(١) رواه البخاري (٢٦٦١)

(٢) رواه مسلم (٧٧١)

الكسب الحرام (أسبابه وأضراره)

مقدمة أسباب الكسب الحرام أضرار الكسب الحرام.

مقدمة.

اعلم أن طلب الحلال واجب على كل مسلم، وقد جاء الشرع الحنيف بالحث على السعي في تحصيل المال واكتسابه على أنه وسيلة لغايات محمودة ومقاصد مشروعة، وجعل للحصول عليه ضوابط وقواعد واضحة المعالم، لا يجوز تجاوزها ولا التعدي لحدودها كي تتحقق منه المصالح للفرد وللجماعة.

قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)) {البقرة: ١٦٨}

وقال: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنفال: ٦٩]

{فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [النحل: ١١٤] {إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَحُمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل: ١١٤، ١١٥]

ولقد نهى الإسلام عن الكسب الحرام لأنه شؤم وبلاء على صاحبه، فبسببه يقسو القلب، وينطفئ نور الإيمان، ويحل غضب الجبار، ويمنع إجابة الدعاء، بله إن وبال الكسب الحرام يكون على الأمة كلها فبسببه تفشو مساوئ الأخلاق من سرقة وغصب ورشوة وربا وغش واحتكار وتطفيف للكيل والميزان وأكل مال اليتيم وأكل أموال الناس بالباطل، وشيوع الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ولقد أخبرنا الصادق المصدوق عليه السلام بأنه سوف يأتي على الناس زمان يتهاونون فيه في قضية الكسب فلا يدققون ولا يحققون في مكاسبهم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ، أَمِنَ الْحَلَالَ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ)) (١)

بل إن بعض الناس لطمعه يفتات على ربه فيجعل الحرام حلالاً والحلال حراماً، قال تعالى: ((قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ { يونس: ٥٩ }))

عن ابن عباس، قال: كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقدرًا، فبعث الله عز وجل نبيه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وأنزل كتابه، وأحل حلاله وحرم حرامه، فما أحل فهو حلال، وما حرم فهو حرام، وما سكت عنه فهو عفو، وتلا: ((قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا)) إلى آخر الآية [الأنعام: ١٤٥] (٢)

أسباب الكسب الحرام:

١- عدم الخوف والحياء من الله.

الخوف والحياء من الله تعالى وحسن مراقبته سياجات كلها تقي المسلم وتحميه من الوقوع في الحرام، ولقد عرف النبي صلى الله عليه وسلم الحياء الحقيقي تعريفاً جامعاً مانعاً فقال، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْإِسْتِحْيَاءَ مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ: أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكَرِ الْمَوْتَ وَالْبَلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ)) (٣)

(١) أخرجه البخاري (٢٠٥٩)

(٢) أخرجه أبو داود (٣٨٠٠).

(٣) أخرجه أحمد (٣٦٧١) والترمذي (٢٤٥٨). وقال الألباني: حديث حسن المشكاة (١٦٠٨)

فإذا نزع الحياء من المرء فانه لا يبالي أكان مكسبه من حلال أم من حرام؟
 عَنْ رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَنَا أَبُو مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنْ مِمَّا أَدْرَكَ
 النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ ((١)).
 إذا لم تحش عاقبة الليالي *** ولم تستح فاصنع ما تشاء
 فلا والله ما في العيش خير *** ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
 يعيش المرء ما استحيا بخير *** ويبقى العود ما بقي اللحاء
 قَالَ مَالِكٌ: قِيلَ لِسَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: إِنْ قَوْمًا يُصَلُّونَ مَا بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ؟ فَقَالَ
 سَعِيدٌ: لَيْسَتْ هَذِهِ عِبَادَةٌ، إِنَّمَا الْعِبَادَةُ الْوَرَعُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ، وَالْفِكْرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ. ((٢))
 قَالَ: قَالَ عُمَرُ: ((تَرَكْنَا تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الرَّبِّ)) ((٣))
 ولقد بلغ الأمر عند السلف أنهم إذا جلس الواعظ للناس قال العلماء: تفقدوا منه ثلاثاً:
 فإن كان معتقداً لبدعة فلا تجالسوه فإنه عن لسان الشيطان ينطق، وإن كان سيء الطعمة فعن
 الهوى ينطق، فإن لم يكن مكين العقل فإنه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه.
 ولقد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُ، قَالَ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ
 مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ،
 وَلَا يَنْتَهَبُ نُهْبَةً، يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ))، وَعَنْ سَعِيدٍ،
 وَأَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَهُ ((إِلَّا النُّهْبَةَ)) ((٤))

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠)

(٢) الزهد لأبي داود (٤١٤)

(٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني (١٤٦٨٣)

(٤) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)

الانتهاز الذي أجمع العلماء على تحريمه هو ما كانت العرب عليه من الغارات وانطلاق الأيدي على أموال الناس بالباطل، فهذه النهبة لا ينتهبها مؤمن (١).

قَالَ أَبُو حَسَّانٍ عَيْسَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَصْرِيُّ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَرَفَةَ يَقُولُ: قَالَ لِي ابْنُ الْمُبَارَكِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اسْتَعْرْتُ فَلَمَّا بَارَضِ الشَّامِ، فَذَهَبْتُ عَلَى أَنْ أُرُدَّهُ، فَلَمَّا قَدِمْتُ مَرَوْ، نَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ مَعِي، فَرَجَعْتُ إِلَى الشَّامِ حَتَّى رَدَدْتُهُ عَلَى صَاحِبِهِ. (٢)

وروي عن امرأة صالحة أنه قد أتاها نعي زوجها (خبر وفاته) وهي تعجن العجين فرفعت يدها، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شريك (تعني الورثة).

٢- الحرص على المكسب السريع.

بعض الناس يستعجلون في قضية الرزق فهم يريدون الحصول على المال من أي جهة وبأي طريق حتى لو كان من حرام، فالمكسب السريع عندهم هو الغاية المرجوة والهدف المنشود، وقد يتأخر الرزق عن بعض الناس لحكمة يعلمها مقدر الأرزاق ومقسمها؛ فيحملة استبطاء الرزق على أن يطلبه بمعصية الله وولقد حذر النبي ﷺ من ذلك فقال فيها رواه عنه ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((لَيْسَ مِنْ عَمَلٍ يُقَرَّبُ إِلَى الْجَنَّةِ، إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَا عَمَلٌ يُقَرَّبُ إِلَى النَّارِ، إِلَّا قَدْ نَهَيْتُمْ عَنْهُ، لَا يَسْتَبْطِئَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ أَنْ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَلْقَى فِي رُوعِي أَنْ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يُخْرَجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَكْمَلَ رِزْقَهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ أَيُّهَا النَّاسُ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنْ اسْتَبْطَأَ أَحَدٌ مِنْكُمْ رِزْقَهُ، فَلَا يَطْلُبُهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ فَضْلَهُ بِمَعْصِيَةٍ)) (٣).

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٦/٦٠٣)

(٢) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/٢٣٩.

(٣) أخرجه الحاكم (٢١٣٦) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٠٧)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنْ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ قِيلَ: وَمَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ؟ قَالَ: ((زَهْرَةُ الدُّنْيَا)) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَصَمَتَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، ثُمَّ جَعَلَ يَمْسُحُ عَنْ جَبِينِهِ، فَقَالَ: ((أَيْنَ السَّائِلُ؟)) قَالَ: أَنَا - قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ - قَالَ: ((لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، إِنَّ هَذَا الْمَالِ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنْ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يُقْتَلُ حَبَطًا أَوْ يُلْمُ، إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرَةِ، أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ حَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسُ، فَاجْتَرَّتْ وَتَلَطَّتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ. وَإِنَّ هَذَا الْمَالِ حُلْوَةٌ، مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ، فَانْعَمَ الْمَعُونَةُ هُوَ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ)) (١)

فليعلم العاقل أن الدنيا زائلة وأن موقوف ومسئول بين يدي الله تعالى عن كل ما اكتسبه وكل ما أنفق. عن معاذ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: قَالَ: ((لَا تَزُولُ قَدَمَا الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ، عَنْ أَرْبَعِ خِصَالٍ: عَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ كَيْفَ عَمَلَ فِيهِ.)) (٢)

فلا يبيع العاقل دينه من أجل نعيم زائل يزول مع أول صبغة في النار عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ النَّارِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٧)

الرَّبِيعُ وَهُوَ النَّهْرُ الصَّغِيرُ، قَوْلُهُ: (حَبَطًا): انْتِفَاحُ الْبَطْنِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَكْلِ، يُقَالُ: حَبَطَتِ الدَّابَّةُ إِذَا أَصَابَتْ مَرَعَى طَيِّبًا فَأَمَعَتْ فِي الْأَكْلِ حَتَّى تَنْتَفِخَ فَمُوتَ، قَوْلُهُ: أَوْ يَلْمُ يَقْرَبُ أَنْ يُقْتَلَ. قَوْلُهُ: إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرَةِ وَالْخَضِرَةُ ضَرْبٌ مِنَ الْكَلَأِ، وَالْبَقْلُ. قَوْلُهُ: وَهِيَ جَانِبَا الْبَطْنِ مِنَ الْحَيَوَانِ. قَوْلُهُ: فَاجْتَرَّتْ وَهُوَ أَنْ يَجْرَ الْبَعِيرُ مِنَ الْكِرْشِ مَا أَكَلَهُ إِلَى فَمِهِ فِيمَضَعُهُ مَرَّةً ثَانِيَةً، قَوْلُهُ: أَي: أَلْقَتْ مَا فِي بَطْنِهَا رَقِيقًا، وَالْعَرَضُ مِنْ هَذَا أَنْ يَجْمَعَ الْمَالُ غَيْرَ مُحْرَمٍ لَكِنِ الْاسْتِكْثَارَ مِنْهُ ضَارٌ بَلْ يَكُونُ سَبَبًا لِلْهَلَاكِ قَوْلُهُ: فَانْعَمَ الْمَعُونَةُ هُوَ أَي: الْمَالُ يَعْنِي: حَيْثُ كَانَ دَخَلَهُ وَخَرَجَهُ بِالْحَقِّ فَانْعَمَ الْعَوْنُ لِلرَّجُلِ فِي الدَّارَيْنِ. عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣ / ٤١)

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٨٣٩) وقال الألباني صحيح بشواهد في مشكاة المصابيح (٥١٩٧)

فِيصْبَعُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟
فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَصْبَعُ فِي الْجَنَّةِ
صَبْغَةً، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا،
وَاللَّهِ، يَا رَبِّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ. (١)

٣- الطمع وعدم القناعة.

ففي الحرص لا يخلو المرء من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل، وقديما قيل أذل
الحرص أعناق الرجال.

وقال ابن أدهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قلة الحرص والطمع تورث الصدق والورع وكثرة الحرص
والطمع تورث كثرة الغم والجزع والطمع يُعمي الإنسان عن حقائق الأمور ويُخفي عنه
معالمها. وأنشد أحدهم:

جمع الحرام على الحلال ليكثره * * * دخل الحرام على الحلال فبعثه

وقال عامر بن شراحيل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: حكى أن رجلا صاد قنبرة فقالت ما تريد أن
تصنع بي قال أذبحك وأكلك قالت والله ما أسفى من قرم ولا أشبع من جوع ولكن
أعلمك ثلاث خصال هي خير لك من أكلي أما واحدة فأعلمك وأنا في يدك وأما الثانية
فإذا صرت على الشجرة وأما الثالثة فإذا صرت على الجبل قالت هات الأولى قالت لا
تلهفن على ما فاتك فخلاها فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية لا تصدقن بما لا
يكون أنه يكون ثم طارت فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لأخرجت من
حوصلتي درتين زنة كل درة عشرون مثقالا قال فعرض على شفته وتلهف وقال هات
الثالثة قالت أنت قد نسيت اثنتين فكيف أخبرك بالثالثة ألم أقل لك لا تلهفن على ما
فاتك ولا تصدقن بما لا يكون أن يكون أنا لحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا

(١) أخرجه مسلم (٧١٩٠)

فكيف يكون في حوصلتي درتان كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت فذهبت وهذا مثال لفرط طمع الأدمي فإنه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون أنه يكون. وقال أبو عمرو ابن السماك رحمته الله: إن الرجاء حبل في قلبك وقيد في رجلك فأخرج الرجاء من قلبك يخرج القيد من رجلك^(١)

عن ابن كعب بن مالك الأنصاري، عن أبيه، رضي الله عنه، قال: قال عليه السلام: ((مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ، أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ، وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ))^(٢). وقال ابن عبد القدوس رحمته الله:

لا تَحْرِصَنَّ فَالْحِرْصَ لَيْسَ بِزَائِدٍ * * * فِي الرِّزْقِ بَلْ يَشْقَى الْحَرِيصُ وَيَتَعَبُ
وَيَظَلُّ مَلْهُوفاً يَرُوحُ تَحِيلاً * * * وَالرِّزْقُ لَيْسَ بِحِيلَةٍ يُسْتَجَلَبُ
كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ * * * رَغداً وَيَحْرَمُ كَيْسٌ وَيَخِيبُ

وليعلم العاقل أن الحرام لا يدوم وأن ما جمع من حرام سوف يذهب مع الرياح، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إِنَّ رَجُلًا حَمَلَ مَعَهُ خَمْرًا فِي سَفِينَةٍ يَبِيعُهَا وَمَعَهُ قِرْدٌ قَالَ فَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا بَاعَ الْخَمْرَ شَابَهُ بِالْمَاءِ ثُمَّ بَاعَهُ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرْدُ الْكَيْسَ فَصَعَدَ بِهِ فَوْقَ الدَّقْلِ قَالَ فَجَعَلَ يَطْرُحُ دِينَارًا فِي الْبَحْرِ وَدِينَارًا فِي السَّفِينَةِ حَتَّى قَسَمَهُ))^(٣)

ومقابل هذه القصة قصة أخرى رواها لنا النبي صلى الله عليه وسلم عن القناعة وعدم الطمع، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((اشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا لَهُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَى الْعَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ مِنِّي، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الْأَرْضَ، وَلَمْ أَبْتَغِ مِنْكَ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الْأَرْضُ: إِنَّمَا بَعْتُكَ الْأَرْضَ وَمَا

(١) (إحياء علوم الدين للغزالي ٣/٢٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٨٧٦)، و الترمذي (٢٣٧٦). وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥١٨١)

(٣) أخرجه أحمد (٨٠٤١).

فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَى رَجُلٍ، فَقَالَ: الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قَالَ أَحَدُهُمَا: بِي غُلَامٌ، وَقَالَ
الْآخَرُ: بِي جَارِيَةٌ، قَالَ: أَنْكِحُوا الْغُلَامَ الْجَارِيَةَ وَأَنْفِقُوا عَلَى أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا)) (١)

أيا من عاش في الدنيا طويلا *** * * * وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى *** * * * وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد إليك عفوا *** * * * أليس مصير ذلك للزوال

٤- الجهل بخطورة الكسب الحرام وحكمه.

كثير من الناس يجهل خطورة الكسب الحرام وحكمه وأثره السيئ عليه، ويتهاون في
معرفة ما يحصله من أموال، وما يتناوله من طعام.

عَائِشَةُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا)، قَالَتْ: ((كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ
يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟
فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكْهَنُتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسِنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا
أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِينِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ
شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ)) (٢)

فعل ذلك لئلا يتغذى بطنه بحرام. وهذا مال حرام؛ لأنه عوض عن حرام، وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله إذا حرّم شيئاً حرّم ثمنه))

وفي هذا الحديث دليل على شدة ورع أبي بكر رضي الله عنه، فهو جدير بهذا. (٣)
عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: ((كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَمْلُوكٌ يَغُلُّ عَلَيْهِ، فَأَتَاهُ لَيْلَةً
بَطْعَامٍ فَتَنَاوَلَ مِنْهُ لُقْمَةً، فَقَالَ لَهُ الْمَمْلُوكُ: مَا لَكَ كُنْتَ تَسْأَلُنِي كُلَّ لَيْلَةٍ وَمَ تَسْأَلُنِي اللَّيْلَةَ؟

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٢)

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٤٢)

(٣) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٠٦)

قَالَ: حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ الْجُوعِ، مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا؟ قَالَ: مَرَرْتُ بِقَوْمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَرَقِيتُ لَهُمْ فَوَعَدُونِي، فَلَمَّا أَنْ كَانَ الْيَوْمَ مَرَرْتُ بِهِمْ فَإِذَا عُرْسٌ لَهُمْ فَأَعْطُونِي، قَالَ: إِنْ كِدْتَ أَنْ تُهْلِكَنِي، فَأَدْخِلْ يَدَهُ فِي حَلْقِهِ فَجَعَلَ يَتَّقِي، وَجَعَلَتْ لَا تَخْرُجُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ لَا تَخْرُجُ إِلَّا بِالْمَاءِ، فَدَعَا بِطَسْتٍ مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ يَشْرَبُ وَيَتَّقِي حَتَّى رَمَى بِهَا، فَقِيلَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ هَذِهِ اللَّقْمَةِ، قَالَ: لَوْ لَمْ تَخْرُجْ إِلَّا مَعَ نَفْسِي لِأَخْرَجْتُهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ((كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ))، فَخَشِيتُ أَنْ يَنْبُتَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِي مِنْ هَذِهِ اللَّقْمَةِ)). (١)

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: شَرِبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ لَبَنًا فَأَعَجَبَهُ قَالَ: لِلَّذِي سَقَاهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا اللَّبَنُ؟ " فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ وَرَدَ عَلَى مَاءٍ، قَدْ سَمَّاهُ، فَإِذَا نَعَمٌ مِنْ نَعَمِ الصَّدَقَةِ، وَهُمْ يَسْقُونَ، فَحَلَبُوا لِي مِنْ أَلْبَانِهَا، فَجَعَلْتُهُ فِي سِقَائِي، وَهُوَ هَذَا، فَأَدْخَلَ عُمَرُ يَدَهُ، فَاسْتَقَاهُ)). (٢)

وأوصت إحدى الصالحات زوجها وقالت له: يا هذا، اتق الله في رزقنا، فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على النار.

أضرار الكسب الحرام:

١ - ظلمة القلب وكسل الجوارح عن الطاعة.

الكسب الحرام له آثار وأضرار وخيمة على صاحبه فهو يؤدي إلى ظلمة القلب وكسل الجوارح عن طاعة الرب، ونزع البركة من الرزق والعمر.

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَعِيدُكَ بِاللَّهِ يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ مِنْ أُمَّرَاءَ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِي، فَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ فَصَدَّقَهُمْ فِي كَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ٣١)

(٢) أخرجه البيهقي (٥٣٨٧)

مَنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ، وَلَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضُ، وَمَنْ غَشِيَ أَبْوَابَهُمْ أَوْ لَمْ يَغْشَ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ فِي كَذِبِهِمْ،
وَلَمْ يُعِنِّهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، وَسَيَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضُ، يَا كَعْبَ بْنَ عَجْرَةَ الصَّلَاةُ
بُرْهَانٌ، وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْحَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، يَا كَعْبَ بْنَ
عَجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرِيحُ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ)). (١)

خرج الأمير شروان للصيد فأدركه العطش فرأى في البرية بستاناً وعنده صبي
فطلب منه ماء فقال ليس عندنا ماء قال ادفع لي رمانة فدفعها إليه فاستحسنها فنوى أخذ
البستان ثم قال ادفع لي أخرى فدفع له أخرى فوجدها حامضة فقال أما هي من الشجرة
الأولى قال نعم قال كيف تغير طعمها قال لعل نية الأمير تغيرت فرجع عن ذلك في نفسه
ثم قال ادفع لي أخرى فدفع له أخرى فوجدها أحسن من الأولى فقال كيف صلحت قال
بصلاح نية الأمير. (٢)

٢- غضب الجبار ودخول النار.

الكسب الحرام يستوجب غضب الجبار ودخول النار، عن أبي أمامة الحارثي رضي
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:
عَنْ أَبِي أَمَامَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((مَنْ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ
أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ)) فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ
اللَّهِ؟ قَالَ: ((وَإِنْ قَضِيًّا مِنْ أَرَاكٍ)) (٣)

فهذا الرجل الذي حلف وهو كاذب يلقي الله وهو عليه غضبان والعياذ بالله ويحرم
الله عليه الجنة ويدخله النار نسأل الله العافية حتى قالوا يا رسول الله وإن كان شيء

(١) أخرجه الترمذي (٦١٤) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٧٢)

(٢) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، للصفوري ص (٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢١٨)

سيراً قال: وإن كان قضييماً من أراك قضييماً ما يملأ اليد من علف أو أعواد أو ما أشبه ذلك يعني حتى ولو كان كذلك أو إن القضييبي هو العود الواحد من الأراك يعني من المساويك حتى لو أن الإنسان حلف على يمين يقتطع بها مال امرئ مسلم ولو عوداً من أراك فإنه يحصل على هذا الوعيد الشديد^(١)

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((اليمين الكاذبة منققة للسلعة، ممحقة للكسب))^(٢).

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل الجنة جسدٌ عُذِّي من الحرام))^(٣).

٣- عدم قبول الدعاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، فقال: ((يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً، إني بما تعملون عليم)) وقال: ((يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم)) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أعبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب، يا رب، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وعذبي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟))^(٤)

فالكسب الحرام سبب في منع قبول الدعاء واستجابة الرجال ورفع العمل الصالح لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

٤- عدم قبول العمل الصالح.

(١) شرح رياض الصالحين (٦ / ٤٥٦)

(٢) أخرجه أحمد (٧٢٩٣) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤٨٨٦)

(٣) أخرجه الطبراني المعجم الأوسط (٥٩٦١) وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٧٨٧)

(٤) أخرجه مسلم (١٠١٥)

عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، رضي الله عنه قَالَ: ((لَمَّا قُتِلَ نَفَرٌ يَوْمَ حَيْبَرٍ، مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، قَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، وَفُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّى ذَكَرُوا رَجُلًا، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: ((كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي عِبَاءَةٍ عَلَّهَا، أَوْ بُرْدَةٍ عَلَّهَا))، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: ((يَا ابْنَ الْخَطَّابِ اذْهَبْ، فَنَادِ فِي النَّاسِ، أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ))، قَالَ فَخَرَجْتُ، فَنَادَيْتُ فِي النَّاسِ)) (١).

قال أحدهم:

رَأَيْتُ حَلَالَ الْمَالِ خَيْرَ مَغَبَةٍ * * * وَأَجْدَرَ أَنْ يَبْقَى عَلَى الْحَدَثَانِ
وإِيَّاكَ وَالْمَالِ الْحَرَامِ فَإِنَّهُ * * * وَبِأَلِّ إِذَا مَا قَدَّمَ الْكِفَانِ

ولقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وآله:

عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رضي الله عنه، قَالَ: ((لَا أَقُولُ لَكُمْ إِلَّا كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله يَقُولُ: كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ، وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ، وَعَدَابِ الْقَبْرِ اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيِّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا)) (٢).

ولتجعل شعارك: أما الحرام فالملمات دونه.

فأللهم ارزقنا الحلال وبارك لنا فيه، وجنبنا الحرام وبغضنا فيه.

(١) أخرجه ابن حبان (٤٨٤٩) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٤٨٢٩)

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٢٢)

خطورة الربا

عناصر الخطبة.

أسباب الوقوع في الربا
الربا من أكبر الكبائر

الربا من أكبر الكبائر
أثار التعامل بالربا

إنَّ الْمَالَ عَصَبُ الْحَيَاةِ، وَشِرْيَانُ الْمَعِيشَةِ، وَهُوَ فِي الْإِسْلَامِ وَسِيلَةٌ لِقَضَاءِ الْحَاجَاتِ، وَتَسْيِيرِ أُمُورِ الْحَيَاةِ، وَلَيْسَ غَايَةً مِنَ الْغَايَاتِ؛ بَحِيثٌ يُفْنِي الْمَرْءَ حَيَاتَهُ فِي جَمْعِهِ وَتَكْدِيسِهِ، وَالْخَوْضِ فِيهِ لِمَتْعِهِ وَلذَاتِهِ، وَلَقَدْ جَعَلَ الْإِسْلَامُ حِفْظَهُ مَقْصِدًا مِنَ الْمَقَاصِدِ الشَّرْعِيَّةِ الْخَمْسِيَّةِ، وَنَهَى عَنِ اِكْتِسَابِهِ بِأَيِّ سَبِيلٍ مِنْ سُبُلِ الْحَرَامِ، وَنَهَى عَنِ إِضَاعَتِهِ وَعَنْ أَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَالْإِنْسَانُ مُؤْتَمِنٌ عَلَيْهِ وَمُسْتَخْلَفٌ فِيهِ، قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ((وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ)) { الحديد: ٧ }، وَلِأَنَّ الرَّبَّأَ أَحَدُ وَجُوهِ الْكَسْبِ الْحَرَامِ فَقَدْ حَرَّمَهُ الْإِسْلَامُ، وَعَدَّهُ كَبِيرَةً مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ؛ فَفَرَنَهُ بِالشُّرْكِ وَالسِّحْرِ وَقَتْلِ النَّفْسِ بغيرِ حَقٍّ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: ((الشُّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرَّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ))^(١)

فاتقوا الله تعالى واحذروا أسباب سخطه وعقابه احذروا ما حذرکم الله منه إن كنتم

مؤمنين واحذروا الربا فإنه من أسباب لعنة الله تعالى ومقتته.

(١) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)

إن الربا من أكبر الكبائر التي حذر الله تعالى عنها في كتابه وحذر رسول الله عنها في سنته وأجمع المسلمون على تحريمها ((وَأَخَذِهِمُ الرَّبَّاءَ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)) [النساء: ١٦١]

وَقَوْلُهُ: وَأَخَذِهِمُ الرَّبَّاءَ وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ أَي: أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَهَاَهُمْ عَنِ الرَّبَّاءِ أَيِ الْيَهُودِ فَتَنَاوَلُوهُ وَأَخَذُوهُ، وَاحْتَالُوا عَلَيْهِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الْحِيَلِ وَصُنُوفٍ مِنَ الشُّبُهَةِ، وَأَكَلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ. قَالَ تَعَالَى: وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. (١)

والربا قد نهى الله عنه وتوعد بمحاربة من لم يتب منه.

قال الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرَّبَّاءِ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ)) [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]

والربا الوجه الآخر المقابل للصدقة الوجه الكالح الطالح لهذا عرضه السياق مباشرة بعد عرض الوجه الطيب السمح الطاهر الجميل الودود عرضه عرضاً منفراً، يكشف عما في عملية الربا من قبح وشناعة ومن جفاف في القلب وشر في المجتمع، وفساد في الأرض وهلاك للعباد ولم يبلغ من تفضيع أمر أراد الإسلام إبطاله من أمور الجاهلية ما بلغ من تفضيع الربا. (٢)

قال الله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)) [آل عمران: ١٣٠ - ١٣٢]

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٧)

(٢) ظلال القرآن (١/ ٣١٨)

فنهاهم عن أكل الربا أضعافا مضاعفة، وذلك هو ما اعتاده أهل الجاهلية، ومن لا يبالي بالأوامر الشرعية من أنه إذا حل الدين، على المعسر ولم يحصل منه شيء، قالوا له: إما أن تقضي ما عليك من الدين، وإما أن نزيد في المدة، ويزيد ما في ذمتك، فيضطر الفقير ويستدفع غريمه ويلتزم ذلك، اغتناما لراحته الحاضرة، فيزداد بذلك ما في ذمته أضعافا مضاعفة. (١)

قال الله تعالى: ((الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)) [البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦].

لما حث الله على الصدقات وواعد عليها بعظيم الأجر ومضاعفة الثواب ذكر المرابين الذين يضاعفون مكاسبهم الهائلة بالربا وهم بذلك يسدُّون طرق البر، ويصدون عن سبيل المعروف فبدل أن ينمو أموالهم بالصدقات نموها بالربويات، فذكر تعالى حالهم عند القيام من قبورهم وهم يقومون، ويقعدون، ويغفون ويصرعون، حالهم حال من يصرع في الدنيا بمس الجنون، علامة يعرفون بها يوم القيامة كما يعرفون بانتفاخ بطونهم وكأنها خيمة مضروبة بين أيديهم. (٢)

قال كعب الأحمري رحمه الله في بعض الصحف المنزلة: إن الله تعالى يأذن بالقيام يوم القيامة للبر والفاجر إلا الأكل الربا فإنه لا يقوم إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس. (٣)

(١) تفسير السعدي (ص: ١٤٨)

(٢) أيسر التفاسير للجزائري (١/ ١٤٠)

(٣) فيض القدير (٤/ ٥١)

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: ((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرَّبَا وَمُؤْكِلَهُ)) قَالَ: قُلْتُ: وَكَاتِبَهُ،
وَشَاهِدِيهِ)). (١)

عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي،
فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَاذْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهْرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى
وَسَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ
يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلُّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ
بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ آكِلَ الرَّبَا)). (٢)

ولقد وضع النبي ﷺ الربا تحت قدمه حيث قال: ((وإنَّ كُلَّ رِبَاٍّ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ مَا
أَبْدَأُ بِهِ رَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَضَى فِي الرَّبَا)). (٣)

٢- أسباب الوقوع في الربا:

١- ضَعْفُ إِيمَانِهِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ إِنَّ الْإِيْمَانَ الصَّادِقَ يَمَلَأُ قَلْبَ صَاحِبِهِ قَنَاعَةً بِمَا
قَسَمَ اللَّهُ، وَخَوْفًا مِنْ سُخْطِ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ((وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ))
{التغابن: ١١}، وَإِذَا خَوَى قَلْبُ الْعَبْدِ مِنَ الْإِيْمَانِ انْدَفَعَ إِلَى طَرَفِ أَبْوَابِ الْحَرَامِ غَيْرَ أَبِيهِ
بِعَظِيمِ جُرْمِهِ، وَلَا مُكْتَرِثٍ بِشِنَاعَةِ فِعْلِهِ.

٢- ضَعْفُ يَقِينِهِ بِالْقِسْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَادِلَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ فَسْوَى وَقَدَّرَ فَهَدَى
وَقَسَمَ كُلَّ شَيْءٍ بِحِكْمَةٍ وَمِقْدَارٍ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ((نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) {الزخرف: ٣٢} وَرَزَقُ اللَّهِ لَا يَجْلِبُهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَمْنَعُهُ كُرْهُ

(١) أخرجه مسلم (١٥٩٧)

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٨٥)

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٨٧) وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣٩٣٣)

كَارِهِ؛ بَلْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: ((وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا وَعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبَّ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)) [الذاريات: ٢٢، ٢٣]

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ
يُقَرَّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرَّبُكُمْ مِنَ النَّارِ
وَيُبْعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ مَهَيْتُكُمْ عَنْهُ وَإِنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي، أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ
نَفْسٍ تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلْكُمْ اسْتِبْطَاءُ
الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ فَإِنَّهُ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَ اللَّهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ)). (١)

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((إِنْ الرِّزْقَ لِيَطْلُبَ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ)). (٢)

٣ - اسْتِعْجَالُ الرِّزْقِ وَقِلَّةُ الصَّبْرِ، وَهَذَا أَرْشَدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ بِمَوْعِدِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا
اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِي رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ)). (٣)

٤ - حُبُّ التَّرَفِّ وَالبَحْثِ عَنِ الْكَمَالِيَّاتِ فِي الْمَسْكَنِ وَالْمَرْكَبِ وَالْمَلْبَسِ وَنَحْوِهَا دَفَعَ كَثِيرًا مِنْ
النَّاسِ إِلَى أَكْلِ الرِّبَا وَالتَّعَامُلِ بِهِ، دُونَ التَّفَكُّرِ فِي سُوءِ الْعَاقِبَةِ، أَوْ الْحَذَرِ مِنْ عَذَابِ الْآخِرَةِ.
عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((كُلُّوا وَاشْرَبُوا
وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا مَحِيلَةٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ)). (٤)

٣ - آثار التعامل بالربا.

(١) مصنف ابن أبي شيبة (٣٥٤٧٣) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٨٦٦)

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٢٣٨) وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٦٣٠)

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢١٤٤) وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٨٦٦)

(٤) أخرجه للحاكم (٧٢٨٨) وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٤٣٨١)

الربا سبب لبلايا كثيرة، والتعامل به جلب لشورٍ مستطيره:

١- أن صاحبَ الربا مطرودٌ من رحمةِ الله؛ محاربٌ من الله ورسوله، وذلك صريحُ قولِ الله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)) {البقرة: ٢٧٨-٢٧٩}

٢- أن الربا يمحَقُّ بركةَ المالِ ويذهبُ بها؛ كما قالَ اللهُ تعالى: ((يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ)) {البقرة: ٢٧٦}

عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَا أَحَدٌ أَكْرَمَ مِنَ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ))^(١).

٣- حُلُولُ اللَّعْنَةِ عَلَى كُلِّ مَنْ يَتَعَامَلُ بِهِ.

عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: ((لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَكْلَ الرِّبَا، وَمُؤْكَلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ:

هُم سَوَاءٌ))^(٢).

هذا تصريح بتحريم كتابة المبايعة بين المتراي والشهادة عليهما وفيه تحريم الإعانة

على الباطل^(٣).

٤- الربا يجرُّ على الأمة الضعفَ والذُّلَّ والهوانَ، ويهونُ من شأنها في أعينِ أعدائها

المتربِّصينَ بها، ويُسلِّطُهم عليها.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ

وَأَخَذْتُمْ أذْنَابَ الْبَقْرِ، وَرَضِيْتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ

حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ))^(٤).

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٧٩) وصحيحه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (٥٥١٨)

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٨)

(٣) شرح النووي على مسلم (٢٦ / ١١)

(٤) أخرجه أبي داود (٣٤٦٢) وصحيحه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (٤٢٣)

٥- وكفى عقوبةً ونكالاً لآكل الربا أن الله عز وجل توعدّه بالخلود في النار إن لم ينته عنه ويثب منه، فقال عز من قائل: ((وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)) {البقرة: ٢٧٥}

٦- انتشار البطالة وذلك لأن أصحاب الأموال لا يستعملونها في المشاريع مما يؤدي الي شيوع البطالة وقد حث الإسلام علي العمل.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فِسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا)) . (١)

والمرابون قد استغلوا حوائج الناس فأقروضهم بالربا وعطلوا منفعة هذا المال وشرب المكاسب الربا والسعي من وعظ بغيره والشقي من شقي في بطن أمه.

٧- انتشار الحسد والبغضاء لأن المرابي قد استغل حاجة الفقراء ولهذا يتمني الفقير الهلاك له والإسلام قد سد هذه الأبواب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)) . (٢)

٨- منع نزول المطر: عن عطاء بن أبي رباح رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ مُوسَى صلى الله عليه وسلم: ((يَا رَبِّ، هَذَا الْغَيْثُ لَا يَنْزِلُ، وَيَنْزِلُ فَلَا يَنْفَعُ، قَالَ: كَثْرَةُ الزَّيْنَا، وَظُهُورُ الرِّبَا)) . (٣)

(١) أخرجه أحمد (١٢٩٠٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١٤٢٤)

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٦٦)

(٣) المطر والرعد والبرق لابن أبي الدنيا (ص: ٨٠)

قَالَ زُرَيْبُ بْنُ بَرَثَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((يَا عُمَرُ إِذَا ظَهَرَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ فِي أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاهْرَبَ اهْرَبَ، إِذَا اسْتَعْنَى الرَّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ، وَانْتَسَبُوا إِلَى غَيْرِ مَنْاسِبِهِمْ، وَانْتَمُوا إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِمْ، وَلَمْ يَرْحَمْ كَبِيرُهُمْ صَغِيرُهُمْ، وَلَمْ يُوقِرْ صَغِيرُهُمْ كَبِيرُهُمْ، وَتُرِكَ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ فَلَمْ يُؤْمَرْ بِهِ، وَتُرِكَ النَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَمْ يَنْهَ عَنْهُ، وَتَعَلَّمَ عَالِمُهُمُ الْعِلْمَ لِيَجْلِبَ بِهِ الدَّرَاهِمَ وَالِدَّانِيرَ، وَكَانَ الْمُطْرُ قَيْظًا، وَالْوَلَدُ غَيْظًا، وَطَوَّلُوا الْمَنَائِرَ، وَفَضَّضُوا الْمُصَاحِفَ، وَزَخَرَفُوا الْمَسَاجِدَ، وَأَظْهَرُوا الرُّشَاءَ، وَشَيَّدُوا الْبِنَاءَ، وَاتَّبَعُوا الْهَوَى، وَبَاعُوا الدِّينَ بِالْدُّنْيَا، وَاسْتَحَفُّوا بِالْدَّمَاءِ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَرْحَامُ، وَبِيعَ الْحُكْمُ، وَأَكِلَ الرَّبَا فَاخْرًا، وَصَارَ الْغِنَى عِزًّا، وَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَامَ إِلَيْهِ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَرَكِبَتِ النِّسَاءُ الشُّرُوحَ)) (١)

٨- مسخ أكلة الربا إلى قردة وخنازير: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَيَبِيْتَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى أَشْرٍ وَبَطْرٍ وَلَعِبٍ وَهَوٍ، فَيُصْبِحُوا قَرَدَةً وَخَنَازِيرَ بِاسْتِحْلَالِهِمُ الْمُحَارِمَ، وَاتِّخَاذِهِمُ الْقَيْنَاتِ، وَشُرْبِهِمُ الْخَمْرِ، وَأَكْلِهِمُ الرَّبَا، وَلُبْسِهِمُ الْحَرِيرِ)) (٢)

فَلْتَتَّقِ اللَّهَ بَامْتِثَالِ أَوْامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ زَوَاجِرِهِ، وَلْتَحَافِظْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَشِعَائِرِهِ، وَلْتَتْرَكَ الرَّبَا وَأَبْوَابَهُ، وَلْتَهْجُرِ الْحَرَامَ وَأَسْبَابَهُ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا حَلَالُهَا حِسَابٌ، وَحَرَامُهَا عَذَابٌ، وَالْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ، وَنِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ.

(١) كرامات الأولياء للالكائي من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٣٨ / ٩)

(٢) أخرجه أحمد (٢٢٧٩٠) وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤ / ١٣٦)

حادي الأرواح إلى معرفة المشروع والممنوع من المزاح

مقدمة

فإن من عظمة هذا الدين وشموليته وسعته أنه ما ترك شيئاً في حياة المسلم إلا ونظمه ورتبه، وجعل له قواعد وضوابط يسير عليها ويلتزم بها، وذلك كله بأمر الله جل وعلا وهدى رسوله ﷺ، وإن مما يشتهر عند غير المسلمين وبعض المسلمين للأسف أيضاً أن دين الإسلام دين كبت وحبس للنفس، فلا ضحك ولا مزاح، ولا لهو ولا متعة. ولئن اشتهر هذا عند غير المسلمين فإنه قد يعذر الكثير منهم في تصوره هذا الذي قد يكون بسبب جهله بالدين الإسلامي العظيم أو بسبب التشويه المتعمد من قبل وسائل الإعلام الغربية التي ما فتئت تصور الإسلام والمسلمين بأبشع الصور.

لكن المصيبة كل المصيبة أن توجد مثل هذه المفاهيم والتصورات عند بعض أفراد المسلمين. (١)

تعريف المزاح:

عرفه الزبيدي بقوله: هو المباشطة إلى الغير على جهة التلطف والاستعطاف دون أذية حتى يخرج الاستهزاء والسخرية، وقد قال الأئمة: الإكثار منه، والخروج عن الجد مخل بالمروءة والوقار، والتنزه عنه بالمرءة والتقبض مخل بالسنة والسيرة النبوية المأمور باتباعها والاقتراء، وخير الأمور أوسطها. (٢)

الفرق بين المزاح والاستهزاء

إن المزاح لَا يَقْتَضِي تحقير من يمازحه وَلَا اعْتِقَادَ ذَلِكَ أَلَا تَرَى أَنَّ التَّابِعَ يِمَازِحُ الْمُتَّبِعَ من الرؤساء والملوك وَلَا يَتَضَيَّ ذَلِكَ تحقيرهم وَلَا اعْتِقَادَهُم تحقيرهم ولاكن يَقْتَضِي

(١) موسوعة خطب المنبر (ص: ١٩٥٠).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (٢/ ٣٢٢). قَوَاعِدُ الْفِئَةِ لِلْبَرَكْتِيِّ.

الِاسْتِثْنَاءِ بِهِمْ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ وَالِاسْتِهْزَاءِ يَفْتَضِي تَحْقِيرَ الْمُسْتَهْزَأِ بِهِ
واعتقاد تحقيره. (١)

حكم المزاح:

فإن المزاح الخالي من الموانع التي تعكر صفو الخواطر مندوب إليه، وهو خلق كريم
حث عليه الشارع الحكيم.

ولكن هل للمسلم أن ينطلق في المزح والدعابة، كما يشاء وحيث أراد أم أنه يتقيد
بالضوابط الشرعية.

والحقيقة أنها لا بد من التقيد بالشرع في كل ذلك لمعرفة المكروه من المزاح والمندوب إليه منه.
فالمكروه منه ما كان فيه إفراط بحيث يخرج المسلم عن مهمته الأساسية التي خلق
من أجلها والتي هي عبادة خالقه جل وعلا، قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا
لِيَعْبُدُونِ} الذاريات ٥٦. (٢)

أما إذا لم يكن فيه إفراط ولا شغل عن الله فهذا سنة وقد فعله رسول الله ﷺ وفعله
أصحابه الذين تربوا في مدرسة النبوة، فقد كانوا يتمازحون فيما بينهم ولكن إذا جد الجد
كانوا هم الرجال.

فَعَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَبَادَحُونَ بِالْبَطِيخِ، فَإِذَا كَانَتْ
الْحَقَائِقُ كَانُوا هُمُ الرَّجَالَ. (٣)

إِنَّ الْمُنْهَى عَنْهُ مَا فِيهِ إِفْرَاطٌ أَوْ مَدَاوِمَةٌ عَلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مَهَمَّاتِ
الدِّينِ وَيُؤَدِّي إِلَى قَسْوَةِ الْقَلْبِ وَالْإِيذَاءِ وَالْحَقْدِ وَسُقُوطِ الْمَهَابَةِ وَالْوَقَارِ وَالَّذِي يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ

(١) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٥٤).

(٢) انظر مجلة البحوث الإسلامية (٦٨/ ٣٤٦).

(٣) صحيح أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ١٠٢) رقم ٢٦٦، وانظر الصحيحة (١/ ٧٩٧) ٤٣٥.

هُوَ الْمُبَاحُ فَإِنَّ صَادَفَ مَصْلَحَةً مِثْلَ تَطْيِيبِ نَفْسِ الْمُخَاطَبِ وَمُؤَانَسَتِهِ فَهُوَ مُسْتَحَبٌّ. (١)

يقول الماوردي: الْعَاقِلُ مَنْ يَتَوَخَّى بِمَزَاحِهِ إِحْدَى حَالَتَيْنِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا (٢)

الحالة الأولى: إيناسُ المُصَاحِبِينَ وَالتَّوَدُّدُ إِلَى المُخَالِطِينَ. وَهَذَا يَكُونُ بِمَا أَنَسَ مِنْ جَمِيلِ الْقَوْلِ، وَبَسِطَ مِنْ مُسْتَحْسَنِ الْفِعْلِ.

وَالحَالَةُ الثَّانِيَةُ: أَنْ يَنْفِيَ بِالْمَزَاحِ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ سَأَمٍ، وَأَحْدَثَ بِهِ مِنْ هَمٍّ. فَقَدْ قِيلَ: لَا بُدَّ لِلْمَصْدُورِ أَنْ يَنْفُثَ.

فهذه كانت حياته صلى الله عليه وسلم مثل سائر البشر ولم تكن صارمة طول الوقت ولكن كان يتخللها بعض المزاح واللغو المباح فكان هذا مداعبة لأزواجه وملاطفة لهم، وتطيباً لقلوب أصحابه وممازحة لهم لكنه لم يكن كمزاحنا نحن اليوم، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح لكنه لا يقول إلا حقاً.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا. (٣)

وهذا لعصمته من الزلل في القول والعمل، وإنما كان يمزح؛ لأن الناس مأمورين بالتأسي به والافتداء بهديه، فلو ترك اللطافة والبشاشة ولزم العبوس والقطوب لأخذ الناس من أنفسهم بذلك على ما فيه مخالفة الغريزة من المشقة والعناء، فمزح ليمزحوا. (٤)

وهذه نماذج من مزاحه في حياته مع أزواجه وأصحابه وأبنائه وعبيده صلى الله عليه وسلم

أولاً: مزاحه مع أزواجه صلى الله عليه وسلم

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣ / ٢٣٤).

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٣١٠).

(٣) حسن أخرجه الترمذي في سننه (٣ / ٤٢٥) رقم ١٩٩٠، والبخاري في الأدب المفرد (ص: ١٠٢) رقم

٢٦٥، والبيهقي في الآداب (ص: ١٣٤) رقم ٣٢٥.

(٤) انظر فيض القدير (٣ / ١٨).

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: "يا عائش، هذا جبريل يُقرئك السلام" فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى "تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم". (١)

فانظر إليه صلى الله عليه وسلم كيف ينادي على عائشة رضي الله عنها فيرخم اسمها والترخيم هو ما نسميه اليوم بلغتنا (الدلع) تطيباً لخاطرها وملاطفة لها.

وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كنت لك كأبي زرع لأم زرع". (٢)

وفي هذا الحديث من جميل العشرة خاصة مع عائشة رضي الله عنها لما كان لها من المنزلة ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يستمع إلى هذا الحديث بطوله منها ويقول لها "كنت لك كأبي زرع لأم زرع".

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جنازة، وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: واراأساه قال: "بل أنا واراأساه" ثم قال: "وما ضررك لو مت فلي فغسلتكِ وكفنتكِ وصليت عليك ثم دفنتكِ" قلت: لكأني بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست فيه ببعض نسائك، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بدي في مرضه الذي مات فيه. (٣)

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبذن، فقال للناس: "تقدموا" فتقدموا، ثم قال لي: "تعالني حتى أسابقك" فسابقته فسبقته، فسكت عني، حتى إذا حملت اللحم وبدنت ونسيت، خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس: "تقدموا" فتقدموا، ثم قال: "تعالني حتى أسابقك" فسابقته، فسبقتني، فجعل يضحك، وهو يقول: "هذه بتلك". (٤)

(١) صحيح البخاري (٢٩ / ٥) رقم ٣٧٦٨، صحيح مسلم (٤ / ١٨٩٦) رقم ٩١ (٢٤٤٧).

(٢) صحيح البخاري (٢٨ / ٧) رقم ٥١٨٩، صحيح مسلم (٤ / ١٨٩٦) رقم ٩٢ (٢٤٤٨).

(٣) صحيح البخاري (٧ / ١١٩) رقم ٥٦٦٦، والنسائي في السنن الكبرى (٦ / ٣٨١) ٧٠٤٢ واللفظ له.

(٤) صحيح أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٢ / ٥٠٨) رقم ٣٤٢٧٤، وأحمد في مسنده (٤٣ / ٣١٣) رقم

٢٦٢٧٧ واللفظ له، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (١ / ٢٥٤) رقم ١٣١.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه، قال: استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم، فسمع صوت عائشة عالياً، فلما دخل تناوها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: حين خرج أبو بكر: "كيف رأيتني أنقذتك من الرجل؟" قال: فمكث أبو بكر أياماً، ثم استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتاني في حربكما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "قد فعلنا، قد فعلنا." (١)

وعن الشفاء بنت عبد الله رضي الله عنها، قالت: دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عند حفصة فقال لي: "ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتها الكتابة." (٢)

ثانياً: مزاحه مع أبنائه ومع الغلمان

والتأمل لهدي النبي صلى الله عليه وسلم في مزاحه ودعابته مع الصبيان يجد نموذجاً فريداً، فهو مع كونه صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وقائداً ومعلماً، ومربياً لهذه الأمة لم ينس الصبيان فكان أرحم الناس بالصبيان والعيال.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: "ما رأيت أحداً كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم". (٣)
وعن أنس رضي الله عنه قال: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخالطنا حتى إن كان ليقول لأخ لي صغير: "يا أبا عمير ما فعل النغير؟" (٤)

(١) صحيح أخرجه أبو داود في سننه (٣٤٩ / ٧) رقم ٤٩٩٩، والنسائي في السنن الكبرى (٧ / ٤٤٨) رقم ٨٤٤١، وأحمد في مسنده (٣٧٢ / ٣٠) رقم ١٨٤٢١.

(٢) صحيح أخرجه أبو داود في سننه (٤ / ١١) رقم ٣٨٨٧، والنسائي في السنن الكبرى (٧ / ٧٥) رقم ٧٥٠١، السلسلة الصحيحة للألباني (١ / ٣٤٠) رقم ١٧٨.

(٣) صحيح مسلم (٤ / ١٨٠٨) رقم ٦٣ (٢٣١٦).

(٤) صحيح أخرجه الترمذي في سننه (٣ / ٤٢٥) رقم ١٩٨٩، وابن ماجه في سننه (٢ / ١٢٢٦) رقم ٣٧٢٠، والبخاري في الأدب المفرد (ص: ١٠٣) رقم ٢٦٩، والبيهقي في الأدب (ص: ١٣٥) رقم ٣٢٦.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الرَّبِيعِ رضي الله عنه، قَالَ: "عَقَلْتُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَجَّةً مَجَّهَا فِي وَجْهِي وَأَنَا ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ مِنْ دَلْوٍ". (١)

وَعَنْ أُمِّ خَالِدِ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ سَعِيدٍ رضي الله عنها، قَالَتْ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَعَ أَبِي وَعَلَيَّ فَمِصُّ أَصْفَرُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "سَنَهُ سَنَهُ" قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَهِيَ بِالْحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ، قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فزَبَرَنِي أَبِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "دَعَهَا" ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَبِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبِي وَأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبِي وَأَخْلِقِي" قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَبَقِيَّتِ حَتَّى ذَكَرَ، يَعْنِي مِنْ بَقَائِهَا. (٢)

وَعَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ قَالَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُلَاعِبُ زَيْنَبَ بِنْتَ أُمِّ سَلَمَةَ وَهُوَ يَقُولُ يَا زُوَيْبُ يَا زُوَيْبُ مَرَارًا. (٣)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُدْلِعُ لِسَانَهُ لِلْحُسَيْنِ، فَيَرَى الصَّبِيَّ حُمْرَةَ لِسَانِهِ، فَيَهْشُ إِلَيْهِ.". (٤)

ثالثاً: مزاحه صلى الله عليه وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم

فَعَنْ أَنَسِ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، احْمِلْنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّا حَامِلُوكَ عَلَى وَدِدِ نَاقَةٍ"، قَالَ: وَمَا أَصْنَعُ بَوْلِدِ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: "وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا النَّوْقُ". (١)

(١) صحيح البخاري (٢٦ / ١) رقم ٧٧، صحيح مسلم (٤٥٦ / ١) رقم ٢٦٥ (٣٣).

(٢) صحيح البخاري (٧ / ٨) رقم ٥٩٩٣.

(٣) صحيح أخرجه الضياء في المختارة (١٠٩ / ٥) رقم ١٧٣٣، وانظر الصحيحة (١٧٤ / ٥) رقم ٢١٤١.

(٤) حسن أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٠٨ / ١٢) رقم ٥٥٩٦، (٤٣١ / ١٥) رقم ٦٩٧٥، وفي موارد

الظمان إلى زوائد ابن حبان (١٩٢ / ٧) رقم ٢٢٣٦، والبغوي في شرح السنة (١٨٠ / ١٣) رقم ٣٦٠٣،

وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (١٥١ / ١) رقم ٧٠.

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وهو في قبة من آدم، فسلمتُ، فردَّ وقال: "ادخل" فقلت: "أكلِّي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: "كُلْكَ"، فدخلتُ. (٢)

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه، قَالَ: فَقُلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنْ غَزْوَةٍ، فَتَعَجَّلْتُ عَلَى بَعِيرِي لِي قَطُوفٍ، فَلَحَقَنِي رَاكِبٌ مِنْ حَلْفِي، فَخَسَّ بَعِيرِي بَعِزَّةً كَانَتْ مَعَهُ، فَاَنْطَلَقَ بَعِيرِي كَأَجُودٍ مَا أَنْتَ رَائٍ مِنَ الْإِبِلِ، فَإِذَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: "مَا يُعْجِلُكَ" قُلْتُ: كُنْتُ حَدِيثَ عَهْدٍ بِعُرْسٍ، قَالَ: "أَبْكَرًا أَمْ ثَيِّبًا؟"، قُلْتُ: ثَيِّبًا، قَالَ: "فَهَلَّا جَارِيَةٌ تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ"، قَالَ: فَلَمَّا ذَهَبْنَا لِنَدْخُلَ، قَالَ: "أَمْهَلُوا حَتَّى تَدْخُلُوا لَيْلًا - أَيُ عِشَاءً - لِكَيْ تَمْتَشِطَ الشَّعْثَةَ وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةَ". (٣)

وعن حشرج بن نباتة، قَالَ: سَأَلْتُ سَفِينَةَ رضي الله عنها، عَنِ اسْمِهِ فَقَالَ: أَمَا "إِنِّي مُخْبِرُكَ بِاسْمِي كَانَ اسْمِي فَيْسًا فَسَمَّانِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَفِينَةَ" قُلْتُ: لِمَ سَمَّكَ سَفِينَةَ؟ قَالَ: خَرَجَ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ فَتَقَلَّ عَلَيْهِمْ مَتَاعُهُمْ، فَقَالَ: ابْسُطْ كِسَاءَكَ فَبَسَطْتُهُ فَجَعَلَ فِيهِ مَتَاعَهُمْ، ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَيَّ فَقَالَ: احْمِلْ مَا أَنْتَ إِلَّا سَفِينَةُ، فَقَالَ: لَوْ حَمَلْتُ يَوْمَئِذٍ وَقَرَّ بَعِيرٍ أَوْ بَعِيرَيْنِ أَوْ حَمْسَةٍ أَوْ سِتَّةٍ مَا ثَقُلَ عَلَيَّ". (٤)

الضوابط الشرعية في المزاح: ١. ألا يكون فيه كذب

- (١) صحيح أخرجه أبو داود في سننه (٣٤٨ / ٧) رقم ٤٩٩٨، والترمذي في سننه (٤٢٥ / ٣) رقم ١٩٩١، والبخاري في الأدب المفرد (ص: ١٠٢) رقم ٢٦٨، والبيهقي في الأدب (ص: ١٣٥) رقم ٣٢٧.
- (٢) صحيح أخرجه أبو داود في سننه (٣٥٠ / ٧) رقم ٥٠٠٠، والبيهقي في السنن الكبرى ٢١١٧٠.
- (٣) صحيح البخاري (٥ / ٧) رقم ٥٠٧٩، صحيح مسلم (١٠٨٨ / ٢) رقم (٧١٥) ٥٧.
- (٤) حسن أخرجه الحاكم في المستدرک (٧٠١ / ٣) رقم ٦٥٤٨، وأحمد في مسنده (٢٥٣ / ٣٦) رقم ٢٩٢٤، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (١١١٤ / ٦) رقم ٢٩٥٩.

فالنبي ﷺ كان يمزح لكنه لا يقول إلا حقا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا، قَالَ: إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا. (١)

وعن بهز بن حكيم، حدثني أبي، عن جدي، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ، لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ ". (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: " إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ ". (٣)

٢- ألا يكون فيه شيء من الاستهزاء بالدين أو بالنبي ﷺ أو بالعلماء أو بشعيرة من

شعائر الإسلام

فهذا يعد من نواقض الإسلام؛ لقوله تعالى: [وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم] [التوبة: ٦٥، ٦٦].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائتنا هؤلاء، أرغب بطونا، ولا أكذب ألسنا، ولا أجبن عند اللقاء! فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق! لأخبرن رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ونزل القرآن. قال عبد الله بن عمر: فأنا رأيت متعلقا بحقب ناقه رسول الله ﷺ تنكبه

(١) حسن أخرجه الترمذي في سننه (٤٢٥ / ٣) رقم ١٩٩٠، والبخاري في الأدب المفرد (ص: ١٠٢) رقم ٢٦٥، والبيهقي في الآداب (ص: ١٣٤) رقم ٣٢٥.

(٢) حسن أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٤ / ٣٣) رقم ٢٠٠٤٦، (٢٤٨ / ٣٣) رقم ٢٠٠٥٥، (٢٦٢ / ٣٣) رقم ٢٠٠٧٣، وأبو داود في سننه (٣٤٢ / ٧) رقم ٤٩٩٠.

(٣) صحيح البخاري (١٠١ / ٨) رقم ٦٤٧٨.

الحجارة، وهو يقول: "يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب!"، ورسول الله ﷺ يقول: "أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم". (١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله: "فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عِنْدَ أَنفُسِهِمْ قَدْ اتَّوَا كُفْرًا بَلْ ظَنُّوا أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِكُفْرٍ فَبَيَّنَ أَنَّ الْإِسْتِهْزَاءَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُفْرٌ يَكْفُرُ بِهِ صَاحِبُهُ بَعْدَ إِيمَانِهِ فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ إِيمَانٌ ضَعِيفٌ فَفَعَلُوا هَذَا الْمُحْرَمَ الَّذِي عَرَفُوا أَنَّهُ مُحْرَمٌ وَلَكِنْ لَمْ يَظُنُّوهُ كُفْرًا وَكَانَ كُفْرًا كَفَرُوا بِهِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَعتَقِدُوا جَوَازَهُ وَهَكَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ". (٢)

* ويدخل في هذا الاستهزاء ببعض السنن على سبيل المزح، وبيعض الأحكام الشرعية كتقصير الثوب وإعفاء اللحية أو الصلاة والصوم وغيرها.

* ويدخل في هذا النكت التي فيها استهزاء بالملائكة، أو الجنة والنار، أو عذاب القبر، فهذه كثيرة بين الناس.

يقول الشيخ محمد بن عثيمين رحمته الله: "ومن هزل بالله أو بآياته الكونية أو الشرعية أو برسله فهو كافر، لأن منافاة الاستهزاء للإيمان منافاة عظيمة. كيف يسخر ويستهزئ بأمر يؤمن به؟ فالمؤمن بالشيء لا بد أن يعظمه وأن يكون في قلبه من تعظيمه ما يليق به. والكفر كفران: كفر إعراض وكفر معارضة، والمستهزئ كافر كفر معارضة، فهو أعظم ممن يسجد لصنم فقط، فمن استهزأ بالصلاة ولو مازحاً أو بالصوم أو بالزكاة أو بالحج فهو كافر بإجماع المسلمين". (٣)

(١) إسناده حسن أخرجه الطبري في تفسيره (١٤ / ٣٣٣) رقم ١٦٩١٢، وابن أبي حاتم في تفسيره (٦ /

١٨٢٩) رقم ١٠٠٤٧.

(٢) مجموع الفتاوى (٧ / ٢٧٣).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد لابن عثيمين (٢ / ٢٦٧).

فالمزاح والهزل بشيء فيه ذكر الله تعالى، أو الرسول أو القرآن أو العلم أو العلماء، هذا مما يجب أن يتقيه الإنسان.

٣- ألا يكون فيه استهزاء بالآخرين أو غيبة أو نميمة أو قذف أو انتهاك للأعراض

وهذا محرم ويعد من الكبائر، يقول الله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ] [الحجرات: ١١].

يقول ابن كثير: "والمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ: احْتِقَارُهُمْ وَاسْتِصْغَارُهُمْ، وَهَذَا حَرَامٌ، فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمُحْتَقَرُ أَعْظَمَ قَدْرًا عِنْدَ اللَّهِ وَأَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ السَّاخِرِ مِنْهُ الْمُحْتَقَرُ لَهُ". (١)

وَقَالَ الطَّبْرِيُّ "اللَّمْزُ بِالْيَدِ وَالْعَيْنِ وَاللِّسَانِ وَالْإِشَارَةِ. وَالْهَمْزُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِاللِّسَانِ". (٢)

ولقد نهى النبي ﷺ عن السخرية بالمسلمين فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَحَاسِدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغُضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُجْذَلُهُ، وَلَا يَخْفِرُهُ التَّقْوَىٰ هَاهُنَا" وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ "بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعَرَضُهُ". (٣)

٤- أن يكون المزاح في الوقت المناسب

فلا يكون مثلاً في وقت الوعظ، أو التذكير بالموت، أو جلسة علم وجدِّ، ويأتي في منتصف هذا الجو العلمي أو الوعظي من يلقي بطرفة، فهذا من أسوأ ما يمكن أن يحدث في مجالس العلم.

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٦).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ٣٢٧).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٩٨٦) رقم ٣٢ (٢٥٦٤).

قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "إِنَّهُ لِيُعْجِبُنِي أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ مِثْلَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ إِذَا بَغِيَ مِنْهُ، وَجَدَ رَجُلًا".

وَقَالَ ثَابِتُ بْنُ عُيَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَفْكَهِ النَّاسِ فِي بَيْتِهِ، فَإِذَا خَرَجَ، كَانَ رَجُلًا مِنَ الرَّجَالِ.

وَقِيلَ لِسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَزَاحُ هِجْنَةٌ - أَيُ مُسْتَنْكَرٌ -؟ قَالَ: بَلِ سَنَةٌ، وَلَكِنْ الشَّأْنُ فِيمَنْ يُحْسِنُهُ وَيُضَعُهُ مَوَاضِعَهُ. (١)

٥- عدم الإنهماك والاسترسال والمبالغة في المزاح الذي يفضي إلى معصية

ينبغي ألا يداوم الإنسان على المزاح؛ لأن الجذسمات المؤمنين، وما المزاح إلا رخصة وفسحة لاستمرار النفس في أداء واجبها. فبعض الناس لا يفرق بين وقت الجد واللعب.

ولذلك قال الغزالي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "مِنَ الْغَلَطِ أَنْ يُتَّخَذَ الْمِزَاحُ حِرْفَةً". (٢)

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "فَأَمَّا مَنْ اسْتَعَانَ بِالْمُبَاحِ الْجَمِيلِ عَلَى الْحَقِّ فَهَذَا مِنْ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ". (٣)

ويقول ربيعة الرأي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "الْمُرُوءَةُ سِتُّ خِصَالٍ: ثَلَاثَةٌ فِي الْحَضَرِ، وَثَلَاثَةٌ فِي السَّفَرِ، فَبِذَلِكَ الْحَضَرِ تِلَاوَةُ الْقُرْآنِ، وَعِمَارَةُ مَسَاجِدِ اللَّهِ، وَاتِّخَاذُ الْقُرَى فِي اللَّهِ، وَالَّتِي فِي السَّفَرِ، فَبِذَلِكَ الزَّادِ، وَحَسَنُ الْخَلْقِ، وَكَثْرَةُ الْمِزَاحِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ". (٤)

٦- عدم الترويح أو الإضرار بالآخرين أو تعريض حياتهم للخطر

(١) انظر شرح السنة للبخاري (١٣/١٨٣).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠/٥٢٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/٣٦٩).

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ١٣٩).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ رضي الله عنه: "مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ". (١)

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه قَالَ حَدَّثَنَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ رضي الله عنه أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ النَّبِيِّ رضي الله عنه، فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى حَبَلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهُ، فَفَزِعَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ رضي الله عنه: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرُوَّعَ مُسْلِمًا". (٢)

٧- ألا يكون مع السفهاء

لأنه إذا مزاح السفهاء ردوا عليه سفاهة، فأضر ذلك بشخصيته.
قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ لِابْنِهِ: "اِقْتَصِدْ فِي مَزَاحِكَ فَإِنَّ الْإِفْرَاطَ فِيهِ يُذْهِبُ الْبَهَاءَ، وَيَجْرِي عَلَيْكَ السُّفَهَاءُ". (٣)

٨- ألا يمازح الكبير والعالم بما لا يليق بمقامه وأن ينزل الناس منازلهم

إن العالم والكبير لهم من المهابة والوقار منزلة خاصة، ولأن المزاح قد يفضي إلى سوء الأدب معها غالباً فينبغي الابتعاد عن المزاح معها خشية الإخلال بتوجيه النبي رضي الله عنه فَعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ رضي الله عنه: "إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْعَالِي فِيهِ وَالْجَانِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ". (٤)
وَعَنْ ابْنِ طَاوُسٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: "مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يُوقَّرَ الْعَالِمُ". (٥)

من أهداف المزاح وفوائده

١- التسلية وإذهاب الوحشة والاستئناس والملاطفة وتطبيب خاطر

-
- (١) صحيح مسلم (٤/ ٢٠٢٠) رقم (٢٦١٦).
(٢) صحيح أخرجه أبو داود في سننه (٧/ ٣٥٢) رقم ٥٠٠٤، والبيهقي في الآداب (ص: ١٣٦) رقم ٣٣٠.
(٣) أدب الدنيا والدين (ص: ٣١٠).
(٤) حسن أخرجه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦١) رقم ٤٨٤٣، وانظر صحيح الجامع (١/ ٤٣٨) رقم ٢١٩٩.
(٥) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥١٩) رقم ٨٤٠.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَطَلَقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ إِلَيَّ بَصْرَهُ فَقَالَ: "لَا" فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَعْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ إِذَا قَوْمٌ تَعْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: لَا يَغُرَّنَكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتِكَ أَوْضَاءً مِنْكَ، وَأَحَبَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم - يُرِيدُ عَائِشَةَ - فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم تَبَسُّمَةً أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ". (١)

٢- وقد يكون المزاح ابتساماً في وجه الآخرين

عَنْ أَبِي دَرٍّ رضي الله عنه، يَرْفَعُهُ قَالَ: "إِفْرَاغَكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلُوكِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشُّوكَ وَالْعَظْمَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَهَدَايَتُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّالَّةِ صَدَقَةٌ". (٢)

وَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ رضي الله عنه، قَالَ: مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَأَيْتَنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ. (٣)

٣- وقد يكون المزاح للتخلص من الخوف أو الملل أو الغضب

فإن الإنسان إذا مزح أدخل على قلبه شيئاً من التسلية والسرور، وأزال ما يخاف منه أو خفف من ذلك، ففي حديث كعب بن مالك رضي الله عنه الطويل في قصة توبته، حين تخلف عن غزوة تبوك، يقول رضي الله عنه: "فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ". (٤)

(١) صحيح البخاري ٥١٩١، صحيح مسلم (١٤٧٩) عن ابن عباس في قصة طلاق النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه.

(٢) صحيح أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٣٠٧) رقم ٨٩١، ومحمد بن نصر المروزي في تعظيم

قدر الصلاة (٢/ ٨١٧) رقم ٨١٢، والطبراني في مكارم الأخلاق (ص: ٣١٩) رقم ٢٠.

(٣) صحيح البخاري (٤/ ٦٥) رقم ٣٠٣٥، صحيح مسلم (٤/ ١٩٢٥) رقم ١٣٥ (٢٤٧٥).

(٤) صحيح البخاري (٤/ ٦) رقم ٤٤١٨.

إذا الابتسامة أحياناً تكون من الفرح والسرور والاستبشار، وأحياناً تكون من الغضب، فيتبسم الإنسان لأن من سجيته الكرم والخلق الحسن، حتى وهو مغضب، ويدل حاله على أن هذا التبسم ليس تبسم الرضا، وإنما هو تبسم الغضب.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ "أَجْمُوا هَذِهِ الْقُلُوبَ وَاطْلُبُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ؛ فَإِنَّهَا تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ". (١)

٤- وقد يكون المزاح للتخلص من موقف صعب

فإن كثير من الناس كانوا -ولا زالوا- يتعرضون لمواقف صعبة، إما مع حاكم أو أمير أو قاض، أو زوج مع زوجته أو زوجة مع زوجها، أو تلميذ مع شيخه أو ما أشبه ذلك. فيكون موقفاً صعباً، ليس له جواب إلا إذا كان هذا الإنسان عنده طرف وسرعة بديهة -كما يقولون- فيتخلص من صعوبة هذا الموقف؛ بأن يأتي بمزحة مناسبة؛ فيضحك منها الشيخ أو الأمير أو الشخص المعني، ثم يزول ما به من الغضب، ويعفو ويصفح عن الطرف الآخر، ومثل هذا كثير في كتب اللغة والأدب وغيرها.

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/٤٣٣) رقم ٦٥٩.

قطوف من

بستان الواعظمين

من الآفات التي تصيب الداعية (٢) التقصير في عمل اليوم والليلة^(١)

من الآفات التي تصيب الداعية فتوهن قوته وتضعفه، وربما حرم التوفيق: تقصيره في عمل اليوم والليلة من العبادات.

لا يعقل أن يقصر الداعية في الواجبات، ولكن التقصير قد يكون في نوافل العبادات وذكر الله تعالى، مع أن ذكر الله -عز وجل- من أعظم أسباب قوة الداعية المعنوية والحسية، قال الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وفي حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أَنَّ فَاطِمَةَ رضي الله عنها شَكَتُ مَا تَلَقَى فِي يَدِهَا مِنَ الرَّحَى، فَأَتَتْ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَلَمْ تَجِدْهُ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ، فَلَمَّا جَاءَ أَخْبَرَتْهُ، قَالَ: فَجَاءَنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَصَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ أَقُومُ، فَقَالَ: ((مَكَانِكِ)). فَجَلَسَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِيهِ عَلَى صَدْرِي، فَقَالَ: ((أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَى فِرَاشِكُمَا، أَوْ أَخَذْتُمَا مَصَاجِعَكُمَا، فَكَبَّرَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَهَذَا خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ))^(١)،

وفي رواية: ((أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ؟ إِذَا أَخَذْتُمَا مَصَاجِعَكُمَا سَبَّحْتُمَا اللَّهُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدْتُمَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرْتُمَاهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ))^(٢).

وإذا كان الداعية يدعو الناس إلى التقرب إلى الله -عز وجل- بما يجب من نوافل

(١) بحث بعنوان: أصول الدعوة جامعة المدينة.

(٢) البخاري (٦٣١٨).

(٣) أحمد (٧٤٠)، إسناده صحيح على شرط الشيخين.

العبادات كالتبكير بالروح إلى المسجد، والمحافظة على السنن الرواتب القبلية والبعدية، والأذكار المشروعة دُبر كل صلاة، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم، والأذكار المطلقة، وأن يكون لسانه رطباً من ذكر الله، فإن الداعية أولى بذلك وأحق، فليحافظ عليها لفضلها، وما يترتب عليها من الأجر والثواب.

إن ذكر الله تعالى أفضل العبادات، لأن الله تعالى جعل لجل العبادات مقداراً، وجعل لها أوقاتاً، ولم يجعل لذكر الله تعالى مقداراً، ولا وقتاً وأمر بالكثرة بغير المقدار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١]، يعني اذكروه في جميع الأحوال^(١).
قال ابن القيم: قال بعض السلف: إذا أصبح ابن آدم ابتدره الملك والشیطان، فإن ذكر الله وكبره وحمده وهلله، طرد الشيطان وتولاه الملك، وإن افتتح بغير ذلك ذهب الملك عنه وتولاه الشيطان. ولا يزال الملك يقرب من العبد حتى يصير الحكم والطاعة والغلبة له، فتتولاه الملائكة في حياته وعند موته وعند بعثه.

وإذا تولاه الملك تولاه أنصح الخلق وأنفعهم وأبرهم، فثبته وعلمه، وقوى جنانه، وأيده الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]. فيقول الملك عند الموت: لا تخف ولا تخزن وأبشر بالذي يسرك، ويثبته بالقول الثابت أحوج ما يكون إليه في الحياة الدنيا، وعند الموت، وفي القبر عند المسألة.
فليس أحد أنفع للعبد من صحبة الملك له، وهو وليه في يقظته ومنامه، وحياته وعند موته وفي قبره، ومؤنسه في وحشته، وصاحبه في خلوته، ومحدثه في سره، ويجارب عنه عدوه، ويدافع عنه ويعينه عليه، ويعده بالخير ويبشره به، ويحثه على التصديق بالحق.
وإذا اشتد قرب الملك من العبد تكلم على لسانه، وألقى على لسانه القول السديد، وإذا بعد منه وقرب الشيطان، تكلم على لسانه، وألقى عليه قول الزور والفحش، حتى

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي ٤٠٠.

يرى الرجل يتكلم على لسانه الملك، والرجل يتكلم على لسانه الشيطان، وكان أحدهم يسمع الكلمة الصالحة من الرجل الصالح فيقول: ما ألقاه على لسانك إلا الملك، ويسمع ضدها فيقول: ما ألقاها على لسانك إلا الشيطان، فالملك يلقي بالقلب الحق ويلقيه على اللسان، والشيطان يلقي الباطل في القلب ويجريه على اللسان^(١).

ولقد أمر الله - سبحانه وتعالى - الدعاة بكثرة ذكره، خاصة عند مواجهة المخاوف والمخاطر، فقال لموسى - عليه السلام - وقد كلفه بالذهاب إلى فرعون: ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأُخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ [طه: ٤٢]، وقال الله تعالى للمؤمنين عند القتال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥].

لا ينسى الداعية أن يأخذ حظه من قيام الليل، قال الله: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٥ - ١٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْوُنٍ (١٥) آخِذِينَ مِمَّا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ - ١٨]، ولقد فرّق الله - تبارك وتعالى - بين القائمين والنائمين فقال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِذَا الْأَلْبَابُ﴾ [الزمر: ٩].

ولا ينسى أن يكون شديد الصلة بمصدر دعوته: القرآن الكريم والسنة، فيعنى بهم تدبراً وفهماً، وأن يكون له ورد من القرآن كل يوم بحيث يختم في الشهر أكثر من مرة، ولو

(١) الداء والدواء لابن القيم ١٠٧.

ختم كل ثلاثة أيام أو كل أسبوع لكان حسنا، قال -عز وجل-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُؤْتِيَهُمُ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩ - ٣٠].

وهذه فوائد لذكر الله تعالى نلتقطها من درر كلام ابن القيم -رحمه الله- مختصرة:

الذكر يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، ويرضي الرحمن عز وجل، ويزيل الهم والغم عن القلب، ويجلب للقلب الفرح والسرور والبسط، ويقوى القلب والبدن، وينور الوجه والقلب، ويجلب الرزق، ويكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورث محبة الله عز وجل، ويفتح بابا عظيما من أبواب المعرفة، وكلما أكثر الذاكر من الذكر ازداد من المعرفة، ويورث الهيبة للرب عز وجل وإجلاله، ويورث جلاء القلب من صداه، وصدأ القلب الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار، ويحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهب الله تعالى، وسبب تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة، وأن العطاء والفضل الذي رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال، وأن الذكر نور للذاكر في الدنيا، ونور له في قبره، ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]. فالأول هو المؤمن، استنار بالإيمان بالله ومحبه ومعرفته وذكره، وأن الذكر يجمع المتفرق ويفرق المجتمع، ويقرب البعيد ويبعد القريب، فيجمع ما تفرق على العبد من قلبه وإرادته وهمومه، وأن الذكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفائها دواؤها في ذكر الله تعالى، وأن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر الله تعالى، وذكر الله عز وجل من أكبر العون على طاعته، وأن ذكر الله عز وجل يسهل الصعب، ويسير العسير ويخفف المشاق، وأن الذكر يعطي الذاكر قوة، حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يظن فعله

بدونه، وكثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل، قال الله عز وجل في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، ويكسو الوجه نضرة في الدنيا ونورا في الآخرة، وفي دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرا لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد يوم القيامة بما عمل عليها^(١).

هذه بعض وظائف اليوم واللييلة التي قد يقع فيها تقصير من بعض الدعاة، والتقصير في مثل هذه الوظائف يؤثر على الداعية معنويًا، وروحانيًا، وإنما الداعية بقلبه وروحه لا ببدنه ولسانه، ولذلك كانت هذه الوظائف من أهم الوظائف التي أمر الله - تبارك وتعالى - بها رسوله ﷺ في أول ما كلفه بالدعوة، اقرءوا إن شئتم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ (١) قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ١ - ٩].

نسأل الله - تبارك وتعالى - أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يجعلنا من الدعاة إليه بسلوكنا وعملنا قبل أن نكون دعاة بأقوالنا، فإن عمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل، وحسبنا قول شعيب - عليه السلام -: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنهَآكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد ﷺ
وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) الوابل الصيب لابن القيم ٤١ - ٨٢.

دعاتنا والمشاركة في أعمال الخير

إن الله قد أسبغ على عباده نعمه ظاهرة وباطنة وجعل الشكر قيذا لهذه النعم وسببا للزيادة؛ قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } [إبراهيم: ٧].

وقد شرع رب العزة من أعمال الخير ما يكون من باب شكر نعم الله؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، يَعْدُلُ بَيْنَ الْإِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَيُعِينُ الرَّجُلَ عَلَى دَابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عَلَيْهَا، أَوْ يَرْفَعُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَيُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ. (١)

وقد جعل سبحانه السعي في نفع المسلمين وقضاء حوائجهم - الذي هو حقيقة العمل التطوعي - من أسباب معونة الله تعالى للعبد؛ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ.. (٢)

ويلمح من هذه النصوص وغيرها أن التنوع من أبرز السمات المميزة للعمل الدعوي فهو ليس قاصراً على مجال من مجالات الطاعة دون مجال ولا على صورة مشروعة دون أخرى بل قد اعتبرت الشريعة الغراء بعض صورته التي ربما زهد فيها الكثير من الناس من شعب الإيمان؛ عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ... (٣)

(١) أخرجه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٣) أخرجه مسلم (٣٥).

وفي ظل عدم كفاية الجهود الرسمية لتلبية الحاجات المتنامية للمجتمع المسلم - لأسباب عدة - تظهر الحاجة إلى التوسع في الأعمال الخيرية بمجالاتها المتعددة؛ ذلك أنه من السلبيات المشاهدة في المجال الخيري الاهتمام الزائد بجوانب دون أخرى؛ فربما وجدنا كثرة من المتطوعين في بعض الأماكن في مجال بناء المساجد أو كفالة الأيتام مع عدم حاجة المكان إلى ذلك في الوقت الذي نجد فيه قصورا في بعض الأبواب الأخرى التي ربما كانت الحاجة إليها ماسة.

وإننا إذا نظرنا إلى تطبيقات العمل الخيري في السنة النبوية لوجدنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يراعى في توجيهاته للصحابة رضي الله عنهم المجالات التي تناسب حاجة الناس وما تقتضيه الظروف والأحوال ومن أمثلة ذلك:

١- لما احتاج المسلمون إلى الماء وكان يباع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ حَفَرَ رُومَةً فَلَهُ الْجَنَّةُ. (١)

٢- ولما احتاج المسلمون إلى تجهيز جيش العسرة وكان وقت مشقة وقلة في المال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ فَلَهُ الْجَنَّةُ. (٢)

٣- ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم قومٌ حفاة عراة مجتابي النار أو العباء، متقلدي السيوف، تمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة ثم خطب الناس وكان مما قال: تَصَدَّقْ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرْهَمِهِ، مِنْ تَوْبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ - حَتَّى قَالَ - وَكَوْ بِشَقِّ تَمْرَةٍ. (٣)

٤- ولما أراد النبي صلى الله عليه وسلم معرفة أخبار المشركين في غزوة الأحزاب قال لحذيفة بن اليمان: قُمْ يَا حُدَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ. (٤)

(١) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

(٣) أخرجه مسلم (١٠١٧).

(٤) أخرجه مسلم (١٧٨٨).

٥- ولما أُفرد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقوه، قَالَ: "مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ؟" - أَوْ "هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ". (١)

والنصوص في هذا الباب كثيرة حتى لقد تربي لدى السلف الصالح حب المشاركة في جميع أعمال الخير والضرب بسهم في كل عمل من أعمال القربات؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرِّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بِأبي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا، قَالَ: نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ. (٢)

فاضرب أخي الداعية لنفسك أبوابا تشارك فيها فتكون دعوتك أعم وأوسع وأنفع بإذن

الله، والله المستعان

(١) أخرجه مسلم (١٧٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، وأخرجه مسلم (١٠٢٧).

من واحة الشعر الدعوي

إصلاح النفس قبل دعوة الناس

وغير تقي يأمر الناس بالتقى . . . طيبب يداوي الناس وهو سقيم
يا أيها الرجل المعلم غيره . . . هلا لنفسك كان ذا التعليم
فابدأ بنفسك فانها عن غيرها . . . فإن انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى . . . بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله . . . عار عليك إذا فعلت عظيم

استغلال الوقت في الطاعة

قال ابن أبي الدنيا: و أنشدنا محمود بن الحسين
مضى أمسك الماضي شهيداً معدلاً وأعقبه يوم عليك جديد
فيومك إن أغنيته عاد نفعه عليك و ماضي الأمس ليس يعود
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة فثنّ بإحسان وأنت حميد
ولاترج فعل الخير يوماً إلى غد لعلّ غدا يأتي وأنت فقيد

نمّت بحمد الله

الفهرس

- ٢..... الذوق واللياقة.
- ٥..... قبسات من مشكاة النبوة (حديث سيد الاستغفار).
- ١٦..... الكسب الحرام (أسبابه وأضراره).
- ٢٨..... خطورة الربا.
- ٣٦..... حادي الأرواح إلى معرفة المشروع والممنوع من المزاح.
- ٥٠..... قطوف من بستان الواعظين.
- ٥١..... من الآفات التي تصيب الداعية (٢) التقصير في عمل اليوم والليلة.
- ٥٦..... دعواتنا والمشاركة في أعمال الخير.
- ٥٨..... من واحة الشعر الدعوي.